طريق الشعب
من زمن التغيير

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (2248) السنة الثامنة
الخميس (15) ايلول 2011

11
بغداد... اغتيال المشاكس !

هادي المهدي
شهيد نصب الحرية

ابحثوا عنهم في معطف الحكومة.. القتلة

فخري كريم

قُتلَ هادي المهدي محروماً من مشاركة زملائه في تظاهرة الجمعة، وقبل أن يهتدي لمن يقدم له العون لإنقاذ أخته الوحيدة من مرض السرطان، وهو في الحالتين: درء خطر اغتياله بقدر حكومي أو إنقاذ أخته الوحيدة، لم يعوّلْ على الحكومة التي يُفترض أنها معنية بضمان أمن مواطنيها وصحتهم.

عدم تعويل هادي المهدي على «الحكومة الوطنية» مُبررٌ من وجهة نظره، لأنها منشغلة في ما لا علاقة له بمشاغل الناس واحتياجاتهم ومعاناتهم ومصائبهم، ولأنها غير معنية أصلاً فيما يعني الناس أو الشعب وليست مبالية بهذا ولا بأي شكل. وهو كان يعرف بوعيه وتجربته وما يحيط به من أحوال وظروف ووقائع دامغة أن الحكومة، وهي «حكومة الشراكة الوطنية» من دون زيادة أو نقصان، بدليل وجود الجميع في تركيبتها، منشغلة في تدبير وسائل مبتكرة للالتفاف على إرادة الشعب والإمعان في امتهان كرامته والتفنن في استغبائه وخداعه.

لم يكن هادي المهدي بحاجة إلى قرائن جديدة، تفضح النوايا المبيتة للحكومة على مواصلة قهر المواطنين وإذلالهم ودفعهم إلى متاهات اليأس والإحباط والرضوخ، لأنه عاش وقائعها بنفسه كل جمعة غضب مع زملائه المتظاهرين في ساحة التحرير، وشاهد بأمّ عينيه تعديات وبشاعات يقوم بها أزلامُ الحكومةِ الجُدد من أيتام البعث وأجهزة أمن ومخابرات صدام حسين الذين أعاد تأهيلهم رئيسُ الحكومة، على مرأى من قادة الكتل وأمراء الطوائف، من دون أن يتخذوا موقفاً حازماً يضع حداً لتلك الاستباحات التي لا تختلف عمّا كان يقوم به النظام السابق في السرّ داخل الزنزانات وأقبية التعذيب.

وأدرك هادي المهدي عمقَ محنته وتبدد آماله، وهو يعيش محنة «المعتقل الوطني»، في الأقبية المدارة من قبل الأجهزة الأمنية المرتبطة برئيس الحكومة مباشرة. لقد استعاد، وهو الكاتبُ والمخرجُ والممثلُ المسرحي، في تلك الأقبية بعد أن تلقى آخر الركلات من أوباش الأمن «الوطني» ودفع إلى زاوية من زوايا أحد تلك الأقبية، مشهداً لا يخطئُ تفاصيله مجرب.. مشهد معتقلات صدام حسين، وأساليب التعذيب فيها وشتائم أوباشها المذلين بالجريمة، وخرج منها مهموماً وملتاعاً، وهو يداري تساؤلاته بتحفظه الوطني، قلقاً على التجربة المستباحة بشهوة السلطة، وخوفاً من السقوط في منحدر اليأس!

لقد ردّد أمام رفاقه وأصدقائه: إنه ينعتنا بتهمة البعث، والبعث في معطفه يخرج علينا يهددنا بالويل، ويُشهر علينا سلاح الموت إذا ما تجرّأنا على شتم سيدهم الجديد..!

كان معه ثلاثة متظاهرين آخرين، اقتيدوا أمام أنظار المارة، وتعرضوا لأبشع تعذيب، وموروست ضدهم أساليب تخدش حياء الكافر، قام بها منتمون جُدُد إلى قبائل الإسلام السياسي، متلفعين بعباءاتهم بلا حياء، وقبل لأمراء الطوائف وقبائل الأحزاب الحاكمة ما جرى لهم أمام كاميرات القنوات التلفزيونية، لكن أحداً منهم لم يحرك ساكناً، بل لم يكنّ غريباً قول البعض منهم «هل كان نظام صدام حسين يسمح لكم بالتظاهر وشتم الحكومة؟!» أو «ماذا يعني الضرب بالصوندات أو خراطيم المياه؟ أو الاعتقال لبضعة أيام؟ أو تصرف غير مسؤول لبعض العناصر سواء بالتحرش الجنسي أو الشتم البذيء؟ ثم كم شخصاً قتل في المظاهرات؟!

سكت رئيس الحكومة، مستفيداً من تواطؤ زملائه في حكومة الشراكة الوطنية، ولم يتخذ أي إجراء ضد القتلة ولا ضد المُعَذبينَ أو قادة الأجهزة، ومات أبناء وأبناء وأرامل من سقطوا في ساحات الاحتجاج بغيظهم، واستراح الشهداء في الدار الآخرة من البحث عن الخدمات والكهرباء وفرص العمل والبحث عن فسحة الأمل المؤجل بلا آجال معروفة.

لم يكن هادي المهدي بحاجة إلى قرائن جديدة، تفضح النوايا المبيتة للحكومة على مواصلة قهر المواطنين وإذلالهم ودفعهم إلى متاهات اليأس والإحباط والرضوخ، لأنه عاش وقائعها بنفسه كل جمعة غضب مع زملائه المتظاهرينَ في ساحة التحرير، وشاهد بأمِّ عينيه تعديات وبشاعات يقوم بها أزلامُ الحكومةِ الجُدد من أيتام البعث وأجهزة أمن ومخابرات صدام حسين الذين أعاد تأهيلهم رئيسُ الحكومة، على مرأى من قادة الكتل وأمراء الطوائف.

قُتلَ هادي المهدي بكاتم صوت جبان، وستسجل الحكومة الجريمة، كما جريمة مقتل كامل شياع وعشرات مثله، ضد مجهول، مع أن القاتل معروف. فأركان الجريمة لا تقتصر على مطلق رصاصة الغدر، أو من زوده بها، أو المستفيد المباشر منها، أو المحرض عليها، إنهم جميعاً شركاء في الجريمة، يتقاسمها معهم مدبر البيئة السياسية التي تشكل دافعاً أقوى لارتكاب جريمة القتل.

ومن هو صانع هذه البيئة السياسية التي وضعت البلاد منذ سنة ويزيد في متاهات الفوضى السياسية والأمنية والخراب الاجتماعي والاقتصادي، وأعادت إنتاج مظاهر المصاهرة بين مافيات الجريمة المنظمة والفساد المالي والإداري وهياكل الدولة المنهوبة وأمراء الطوائف المذهبية والقبائل السياسية؟

وأين تجد مثل هذه البيئة عناصر مساعدة ومكونة اكثر فاعلية من الصراع المنفلت على الحقائب والمصالح الفئوية وكراسي السلطة المتهرئة ومتاعها، أكثر من هذا الصراع بين علاوي والمالكي؟

لكن ذلك كله لا يشكل بيّنة دامغة على مرتكبي الجريمة، وهم ليسوا فرداً ولا جماعة واحدة، إنهم كل المعنيين بنهب البلاد وإجهاض التجربة الديمقراطية التي استحالت إلى مسخ، إنها الحكومة التي تريد من هذه الجريمة إخماد المعارضة الديمقراطية وإشاعة الخوف بين صفوف الشباب والداعين والمشاركين في جُمَع الغضب والمطالبة بالإصلاح!

لكن مثل هذه الأساليب، هي مثل الخدع الصغيرة التي تسعى الحكومة إلى تمريرها على المواطنين لإجبارهم على السكوت، تارة بوسائل التخدير بالوعود، وطوراً بالعصا الغليظة، ودائماً بمواصلة خلق الأزمات وتصديرها في مختلف الاتجاهات.

إن معطف حكومة الشراكة الوطنية بات أضيق من أن يتحمل كل ما يبدو، إنه مرشحٌ للتكاثر غير المشروع، وهو معطفٌ يتحمل وزر ما يلحق بالمواطنين من تعديات وجرائم.

اليوم على الشباب المثابر في الاحتجاج في ساحة التحرير أن يرد على الجريمة بوضع باقات الزهور على نعش شهيد الديمقراطية والعراق الجديد، الداعية الوطني ضد نظام المحاصصة، شهيد النضال من أجل إعادة الاعتبار لتضحيات كل الشهداء الذين ناضلوا في سبيل دولة وطنية مدنية، دولة قانون ومؤسسات وحريات، دولة المواطنة الحرة. على زملاء الشهيد في كل ساحات العراق وفي المهاجر أن يضعوا نعشاً رمزيا للشهيد في أي ساحة، في أي زاوية، ويقسموا بصوتٍ مسموع: إننا لن نصمت.. ولن نرضخ.. ولن نستسلم حتى نعيد الاعتبار لراية الشهيد، ونكشف قتلة هادي المهدي. وسنواصل التظاهر والاحتجاج حتى تتحقق كل مطالب الشهيد التي هي مطالبنا، مطالب شعبنا.

وأنتم تمددون نعش الشهيد تحت نصب الحرية، قبّلوه عني، وبلّغوه اعتذاري لتأخري في الاستجابة لطلبه الأخير..! ضعوا وردة حمراء فوق نعشه باسمي، وعاهدوه على المضي من دون خوفٍ أو تردد..

سلامٌ على الشهيد وهو يوارى إلى مثواه الأخير، حراً سيداً.

كتب هذه المقالة بعد ساعات من اغتيال الفقيد ونشرت في اليوم التالي بصحيفة المدى

رسالة من هادي المهدي:

لن تصدقوا ما أرى حتى ترون

هادي المهدي

أهلاً أصدقائي .. لقد أخفتكم هذين اليومين أليس كذلك؟ بعضكم قال:«هادي مسبب المشاكل حياً وميتاً»، ضحكتُ كثيراً حين سمعتها أمس في المقهى، أعتذر لأني أحزنتكم، أنا نفسي حزين رغم بحر الراحة الذي أسبح فيه الآن، رغم شعوري بالتخفف من أعباء ثقيلة جثمتْ على قلبي منذ ٤٥ سنة، أتذكر الآن صديقي كونديرا في «خفة الكائن التي لا تحتمل»، كنت أحب هذا الكتاب.

هل أنا ميت؟ أعتقد ذلك لأني مررتُ بكم أمس في ساحة التحرير ورأيتكم ترفعون صوري، وتهتفون باسمي، كلمتكم فلم تجيبوني، صرختُ بكم فلم تنتبهوا، طلبت مكبر الصوت من علي الجاف فلم يعطني إياه، سألتُ بسام «لماذا العدد قليل» فأدار وجهه عني، وضعتُ يدي على كتف علي السومري لكنه كان يبكي، ساعدت أحمد البغدادي في حمل التابوت الذي كانت عليه صورتي، لوحتُ لنصير غير عاداتي، قلت لهم هؤلاء هم ملح العراق، سألتهم من أرسلكم إليّ؟ قالوا أرسلنا «....» وهو يريد خاطرك وقال لنا فليطلب ما يشاء، هل تريد وظيفة؟ سمعنا انك تبحث عن عمل، تعييينك مسألة بسيطة، نحن نعرفك أنت من اقتربتُ منه.

عرفتُ بعد أن انقضتْ مظاهرة التحرير أمس الاول انني ميّت، وتذكرتُ كل شيء «الذاكرة تعمل هنا لكنْ بطريقة عجائبية لا يمكن وصفها» آخر لحظة لي في الحياة حين كنت . مثلكم الآن . ثقيلاً ومليئاً بالهموم والأعباء، كنت في مطبخ بيتي وكان عندي ضيوف توجستُ منهم شراً، انقبض صدري حين أتوا لكني مع ذلك أخلتهم، فهم معارفي على أية حال ولا بدّ من إكرامهم .لا أذكر ساعتها أين رأيتهم لكني أعرفهم الآن وأعرف أسماءهم «هل تريدون أن أسميهم لكم؟ .. لا، اصبروا ليس الآن» دخلوا ألا كلموني عن المظاهرات ونصحوني ألا أتظاهر يوم غد، استغربتُ في البداية قلت لهم أنا دعوت الناس للمظاهرة فكيف لا أخرج غداً؟ قالوا لي « أنت فنان ومسرحيّ فما شأنك بالزعاطيط المتظاهرين»، لا أذكر ما قلته بالضبط لكني ابتسمتُ ورددتهم بلطف على غير عاداتي، قلت لهم هؤلاء هم ملح العراق، سألتهم من أرسلكم إليّ؟ قالوا أرسلنا «....» وهو يريد خاطرك وقال لنا فليطلب ما يشاء، هل تريد وظيفة؟ سمعنا انك تبحث عن عمل، تعييينك مسألة بسيطة، نحن نعرفك أنت من عائلة مناضلة، كنت منفياً زمن صدام، نستطيع مساعدتك، لكن لا تلوث اسمك مع هؤلاء الغوغاء». قلت سلموا لي علي «....» لكن قولوا له اني سأخرج غداً لأن هناك خللاً كبيراً يجب الوقوف ضده. كانوا يبيتون أمراً، عرفت ذلك من خوفهم، كانوا خائفين مني، أحدهم وهو يحرك يديه برز من تحت سترته مسدس، ازداد خوفي لكن خوفه كان أكبر، حدست ذلك، قلت في نفسي ان هؤلاء جاؤوا لتهديدي فقط، لتخويفي، فلأكن أكثر رباطة جأش منهم. سألتهم ماذا تشربون؟ كنت أعاني من حرقة في المعدة وأردت أن أشرب اللبن الذي كان على المائدة، صاحب المسدس طلب كوب ماء، قلت له مازحاً :«عندي بيرة باردة إذا أحببت» وضحكت، لكنه لم يضحك، بل أظهر أسنانه الصفراء بالكاد وهو يتصنع ابتسامة خوف، الأخران نهضا، لكن صاحب المسدس أشار لهما بالجلوس، قائلاً «ليس الآن»، ظننتُ انهما يهمان بالخروج، فقلت لهما «فعلاً ليس الآن اشربوا الماء على الأقل»، وذهبت إلى المطبخ.

هل شعرتم يوماً بأن عيناً تراقبكم لأحد ما ليس حاضراً معكم بالضرورة، عين خفية تثقب جماجمكم عن بعد؟ هذا ما أحسست به في الطريق من غرفة المطبخ، هتف بي هاتف انك ستموت، لكنْ كان الأوان قد فات، لم اشعر إلا وأنا على أرضية المطبخ وقد أمسك بي اثنان منهم وطلب صاحب المسدس مني أن أجثو على ركبتيّ، وقع من يدي الكأس الذي كان فارغاً لم أملأه بعد، وتشظى قطعاً صغيرة، جثوتُ على شظية كأس فشعرت بألم في ركبتي، صرختُ ما الذي يحدث؟ أرجوكم لا، لم أقو إلا على قول كلمة واحدة مختصرة هي «لا» كررتها مراراً، قال لي صاحب المسدس: هذه هدية من ..... «، لا تسألوني عن اسمه رجاءً». وبلمح البصر نزلتْ على العالم ستارة سوداء. لحظات ألم قليلة، ثم سكن كلّ شيء.

صفاء كامل، وصمت مطبق تقطعه أغنية لم اسمعها من قبلُ، أغنية لا تقال بالكلمات، عليكم أن تسمعوها لتعرفوا كم هي عميقة. على المرء أن يكون شاعراً إذا أراد أن يموت ليستطيع إيجاز هذه الرحمانية وراحة البال. لا شيء يحدّثني الآن حتى ولو كان مصنوعاً من لا شيء، كلّ شيء نور، أعرف الآن أكثر من ذي قبل، لم أعد بحاجة إلى فم لأنطق ولا إلى أذن لأسمع، ولا إلى عينٍ لأبصر، ولذا حين نظرت إلى هذا الجسد المسجى أمامي، الاستقبال للمطبخ، هتف بي هاتف انك ستموت، لكنْ كان الأوان قد فات، لم اشعر إلا وأنا على أرضية المطبخ وقد أمسك بي اثنان منهم وطلب صاحب المسدس مني أن أجثو على ركبتيّ، وقع من يدي الكأس الذي كان فارغاً لم أملأه بعد، وتشظى قطعاً صغيرة، جثوتُ على شظية كأس فشعرت بألم في ركبتي، صرختُ ما الذي يحدث؟ أرجوكم لا، لم أقو إلا على قول كلمة واحدة مختصرة هي «لا» كررتها مراراً، قال لي صاحب المسدس: هذه هدية من ..... «، لا تسألوني عن اسمه رجاءً». وبلمح البصر نزلتْ على العالم ستارة سوداء. لحظات ألم قليلة، ثم سكن كلّ شيء.

صفاء كامل، وصمت مطبق تقطعه أغنية لم اسمعها من قبلُ، أغنية لا تقال بالكلمات، عليكم أن تسمعوها لتعرفوا كم هي عميقة. على المرء أن يكون شاعراً إذا أراد أن يموت ليستطيع إيجاز هذه الرحمانية وراحة البال. لا شيء يحدّثني الآن حتى ولو كان مصنوعاً من لا شيء، كلّ شيء نور، أعرف الآن أكثر من ذي قبل، لم أعد بحاجة إلى فم لأنطق ولا إلى أذن لأسمع، ولا إلى عينٍ لأبصر، ولذا حين نظرت إلى هذا الجسد المسجى أمامي، إلى الدم النازف من الجثة، عجبتُ كيف صبرتُ كل هذه السنين داخل هذه الكتلة من اللحم والعظام والأمعاء، كنت سجيناً وتحررتُ، نظرتُ إلى وجوه هؤلاء وقد شحب لونها وغدتْ مصفرّة، هتفت بهم، كانوا مشغلين بمكالمة أحدهم، قال صاحب المسدس وهو يكلم رجلاً من هاتفه «الولد نام»، ضحكتُ لأن الشيفرة بينهم كانت بمثل هذه السذاجة.

هل هذا هو الموت الذي كنت أخشاه؟ إنه . صدقوني . لاشيء بالقياس الى الألم الذي رأيته في الحياة، والألم الذي تعانونه الآن.

أريد أن أسرد لكم المزيد عن حالي، لكنّ أصواتاً لطيفة تدعوني، آه، إني أراهم الآن بوضوح يشقون الضباب ويقبلون نحوي، أناس كثيرون، رجال ونساء أحاطوا بي الآن، هذا أبي، أخي الشهيد الذي أعدمه صدام، زوج اختي، وهذا صديقنا كامل شياع يبتسم، آخرون يمسكون بيدي ويدخلونني في نورٍ لا يمكن أن يوصف. لم أعد قادراً على الكلام.

سأحرص على الكتابة اليكم كلما استطعتُ ... لكني سأنسحب الآن فالمشهد هنا .. ماذا أقول؟ لن تصدقوا ما أرى حتى ترون. إلى لقاء

لا تتشاقى هادي المهدي

أنتظرك في بيروت

حامد المالكي

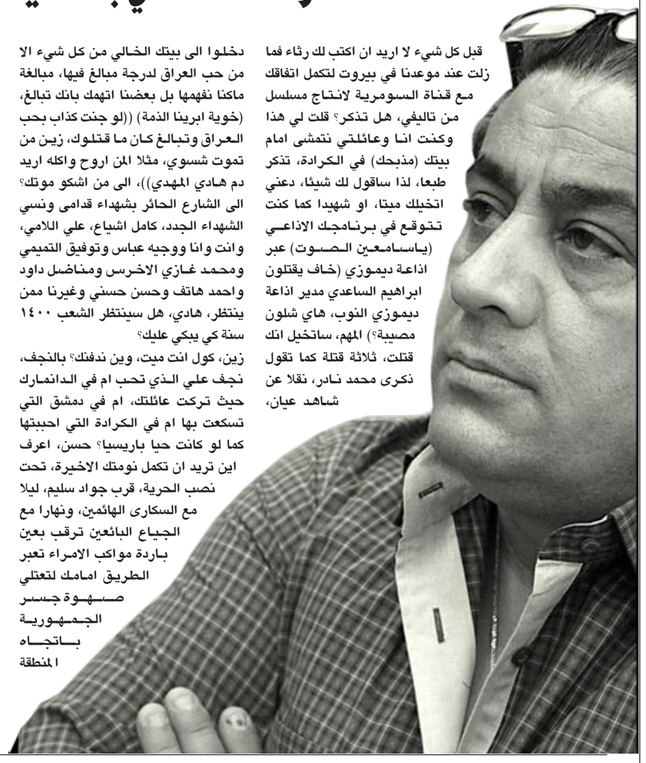

قبل كل شيء لا اريد ان اكتب لك رثاء فما زلت عند موعدنا في بيروت لتكمل اتفاقك مع قناة السومرية لانتاج مسلسل من تاليفي، هل تذكر؟ قلت لي هذا وكنت انا وعائلتي نتقشى امام بيتك (مذبحك) في الكرادة، تذكر طبعا، لذا ساقول لك شيئا، دعني اتخيلك ميتا، او شهيدا كما كنت تتوقع في برنامجك الاذاعي (ياسامعين الصوت) عبر اذاعة ديموزي (خاف يقتلون ابراهيم الساعدي مدير اذاعة ديموزي النوب، هاي شلون مصيبة؟) المهم، ساتخيل انك قتلت، ثلاثة قتلة كما تقول ذكرى محمد نادر، نقلا عن شاهد عيان،

دخلوا الى بيتك الخالي من كل شيء الا من حب العراق لدرجة مبالغ فيها، مبالغة ماكنا نفهمها بل بعضنا اتهمك بانك تبالغ، (خوية ابرينا الذمة) ((لو جنت كذاب بحب العراق وتبالغ كان ما قتلوك، زين من تموت شسوي، مثلا المن اروح واكله اريد دم هادي المهدي))، الى من اشكو موتك؟ الى الشارع الحائر بشهداء قدامى ونسي الشهداء الجدد، كامل اشياع، علي اللامي، وانت وانا ووجيه عباس وتوفيق التميمي ومحمد غازي الاخرس ومناضل داود واحمد هاتف وحسن حسني وغيرنا ممن ينتظر، هادي، هل سينتظر الشعب ١٤٠٠ سنة كي يبكي عليك؟

زين، كول انت ميت، وين ندفنك؟ بالنجف، نجف علي الذي تحب ام في الدانمارك حيث تركت عائلتك، ام في دمشق التي تسكعت بها ام في الكرادة التي احببتها كما لو كانت حيا باريسيا؟ حسن، اعرف اين تريد ان تكمل نومتك الاخيرة، تحت نصب الحرية، قرب جواد سليم، ليلا مع السكارى الهائمين، ونهارا مع الجياع البائعين ترقب بعين باردة مواكب الامراء تعبر الطريق امامك لتعتلي صهوة جسر الجمهورية باتجاه المنطقة العوراء، اقصد الخضراء، هناك سيكون قبرك، سافعل شيئا اخر، سانعيك في موقع كتابات، موقعك الاثير، اياد الزاملي خوية كل ما ادز لك نص اقول لك (اذا تكرمت انشر هذا النص في موقعكم الكريم) رغم علاقتي الوطيدة بك، لكني هذه المرة اقول لك اياد(انشر هذا المقال احسن لك) وانشر كل مايأتيك به الاثير من دموع مكتوبة على الورق، هادي المهدي (ابريلي الذمة) بالامس وانا استكع مع احمد هاتف في شارع الحمراء (حجيت عليك).. هادي (ابري ذمة العراق) لانه لم يفهمك الا عندما مت فصدقك ، هادي ساغير صورتي في الفيس بك اربعين يوما واضع صورتك بدلها (والله سبع حامد خوفت القتلة) ساطلب من صحبي فعل الشيء نفسه لتكون ظاهرة في الفيس بك يعرج عليها الاعلام العراقي الاعوج، هادي اعرف انك تضحك علي الان في قبرك، وتقول (شوف هذا البطران) اني راسي يوجعني بسبب الطلقات الصامتة وهذا يريد يخلي صورتي مكان صورته، اذا ماذا افعل هادي، قل لي ، انا في غربتي وحدي في بيروت وانت في غربتك وحدك في القبر، ماذا عسانا ان نفعل سوى اللوذ بالجبن كي نؤبنك؟ لن تر ضى، اعرف، حقك صديقي، نحن جبناء، جبناء كفاية لنختبئ خلف الكلمات، لكن، من يدري يا هادي، لعلك تتحول الى بوعزيزي العراق، ويحترق خضار المناطق المزيفة.

ياهادي ساعود الى العراق وساتمشى في شارع الكرادة والوح الى نافذتك واقول لك شلونك هادي، تريد مسلسل؟

إذن فقد قتلوك يا صاحبي!

احمد المهنا

قتلوك يا هادي المهدي، عشية جمعة ٩ -٩ التي كنت تحشد لها. آخ كم تؤلمني! في المرة الأولى كنت شاهد عيان على محاولة قوات الحكومة قتلك معنويا، وقتلنا معك بنفس الطريقة. وفي هذه المرة الثانية بلغني نبأ اغتيالك وأنا في لندن. وهم بذلك يحاولون اقتلاع بذور « الربيع العربي» فيما قبل أن تنمو .

في المرة الأولى لمحت مظهرا مؤلما من مظاهر اعادة انتاج « جمهورية الخوف». تلك التي كانت قد كلفت البلاد همجية تغلغلت في الأعماق، فوق ما كلفت من خسائر لا تعد ولا تحصى في الناس والمال والماضي والحاضر والمستقبل.

المرة الأولى: بعد انفضاض تظاهرة ٢٥ شباط، وفي باحة مطعم مطلة على شارع الكرادة داخل، وسط بغداد، جلس هادي مع ثلاثة أدباء وصحفيين شبان من صحبه عصرا لتناول الطعام. وفجأة اصطف أربع همرات للجيش، نزل منها نحو ١٠ عساكر، وتوجهوا مسرعين الى الأربعة، وانهالوا عليهم ضربا أمام جمهور مذهول في المطعم وعلى جانبي الشارعين.

جاءت الصفعة الاولى على رقبة هادي من الخلف. لن أنساها ما حييت. وكنت مثل هادي قادما للتو من تلك التظاهرة، وروحي جذلى بنسيم الحرية، الذي لا احلى ولا أخف منه، ذلك انه في مثل هذا المقام يكون كمن يشد نفسه لحظة ويهب وسط سجون الإستبداد. ولكن سرعان ما صدت تلك الهجمة ذلك النسيم، وبلمح البصر اختفى، كما اختطف الشبان الأربعة بنفس السرعة، ونقلوا بالهمرات ليتعرضوا الى ألوان أخرى من التعذيب في الأقبية السرية. ثم افرج عنهم بعد ليلة ويوم أروهما فيهما نجوم الظهر.

ولكن هادي لم ينكسر. بل لم تفارقه روح الدعابة: يروي زميله في المحنة الشاعر حسام السراي قائلا انه» عندما أطلق سراحنا أنا وعلي السومري وهادي المهدي وعلي عبد السادة، بعد اعتقالنا لمشاركتنا في تظاهرات ٢٥ شباط الماضي، وملابسنا ممزقة وحالنا حال، قال هادي:»يلا شباب لا تضوجون، هذا كله ينضاف للسيفي(السيرة الذاتية)»،وأعقبها بضحكة طويلة».

لم يصمت هادي. لم يهدأ. بل تصاعدت نبرات احتجاجه. فلم تنفع معه محاولات التدجين أو اعادة انتاج جمهورية الخوف، وذلك خلافا لما حدث مع محتجين كثر آخرين كان الرعب فوق طاقتهم.

تقدم المهدي بشكوى الى القضاء على رئيس مجلس الوزراء بوصفه « القائد العام للقوات المسلحة»، جراء تعرضه للاختطاف والاعتقال من دون مذكرة قضائية ومن دون جرم، وتعرضه للإهانة والضرب، واصابته بكدمة خطيرة في رأسه وورم في ساقه اليسرى. وقال في بيان انه يلفت «نظر الرأي العام العراقي انني وبعد تقديمي ونشري لهذه الشكوى وفي حال تعرضي او أسرتي لأي خطر فأنني أضع مسؤولية ذلك على عاتق نفس الجهة التي اشتكيها واتظلم منها».

كان هادي من أبرز المنظمين لتظاهرة ٢٥ شباط، وأكثر ابناء الوسط الثقافي والاعلامي حماسة لها، وظل كذلك مع تقليد الاحتجاج الذي استمر في ساحة التحرير كل جمعة. وكان الأعلى صوتا في الإحتجاج، سواء في التظاهر، او في برنامجه اليومي في احدى الإذاعات المحلية، أو في الكتابات، أو في الكلام. كان حاميا، محتدما، وشجاعا حتى التهور. الرجل مسرحي. وقد تماثلت الحياة لديه مع المسرح. كان أداؤه في الإثنتين، الخشبة والبسيطة، حرامن كل خوف. الطبيعة حبته بانطلاق لا يعرف الحذر ولا الاحتراز. وهذه الطبيعة هي أكره شيء على الدكتاتورية، كما هي أكثر شيء استفزازا لعبيد الخوف.

والإثنان قتلاه: مشروع الدكتاتورية الناشئة، وجمهور الخوف الآخذ بالإتساع.

ومثلما لم يعتذر المالكي عن الاساءة الى هادي والى أصحابه في حادثة التنكيل العلني والخطف والاعتقال التعسفي والتعذيب، وهي الأعمال المشينة التي ارتكبتها « قواته المسلحة»، فإنه لن يفعل شيئا مع تصعيد تنكيله الى مستوى القتل، سوى إحالة « الحادث» الى ملف لدى قضاء لم يعرف عنه فك لغز حادثة واحدة من حوادث الاغتيال، وهي بالمئات.

انها قصة موت معلن أخرى.

غير ان القتيل هذه المرة هو أول شهيد، من الوسط الفني والصحفي، في تاريخ الاحتجاج العراقي الذي بدأ في ساحة التحرير يوم ٢٥ شباط ٢٠١١ . ولعل هذا هو آخر وأعظم عطاء قدمه هادي الى الاحتجاج العراقي الذي كان يؤلب على انذاكه حتى اللحظة الأخيرة من حياته.

فقبل ساعات من هذه اللحظة، كان هادي قد كتب في موقعه على الفيسبوك، وفي اخر كلماته المحرضة على التظاهر، متمنيا ليوم ٩ – ٩ أن يكون» عرسا حقيقيا للديمقراطية». وها هو « العرس» يتخضب بدمائه، و» جمعة البقاء» يتغير اسمها الى « جمعة هادي المهدي».

وتحت النصب الخالد، في ساحة الإحتجاج، سيقام اليوم حفل زفافك شهيدا، وسيلقي عليك الأحرار في العراق، وفي كل مكان، التحية التي يستحقها أمثالك، ممن جعلوا حتوفهم جسرا الى الحرية: هذه الأمانة التي لن يمل رجال ولا نساء هذا الكوكب عن حملها وعن افتدائها الى أن يرثوا الأرض.

وداعا يا هادي! تعيش يا هادي!

الواشنطن بوست:

إغتيال المهدي يؤكد أن الطبقة الحاكمة بدأت تستخدم أساليب تقشعر منها الأبدان ضد المعارضين

بغداد/ المدى

نشرت صحيفة "الواشنطن بوست" الأمريكية الواسعة الإنتشار تقريرا عن أغتيال الإعلامي والمخرج العراقي هادي المهدي الذي أغتيل يوم الخميس الماضي في بيته على يد مجهولين باستخدام مسدس كاتم للصوت.

وقالت الصحيفة الأمريكية أن الطبقة الحاكمة في العراق بدأت تستخدم أساليب تقشعر منها الأبدان لإسكات المعارضين لها، وبدأ تقرير الصحيفة الأمريكية بالقول "لقد عشت ٣ ايام في حالة من الرعب، هذا ما كتبه هادي المهدي على صفحته الرئيسية في الفيس بوك حيث قال (البعض اتصلوا بي هاتفيا و قاموا بتحذيري وتوعدوا بشان اعتقالات ومداهمات ستحدث بحق المتظاهرين وهناك شخص ما اتصل بي قائلا ان الحكومة ستفعل كذا وكذا وهناك شخص ايضا استخدم اسما مزيفا وقام بارسال رسالة تهديد لي على الفيس بوك)، وبعد ساعات من هذه التهديدات عثر على مهدي (شهيدا) في منزله مع طلقتين ناريتين في الراس". وتابع التقرير قوله "لم يكن واضحا الجمعة (الماضية) من قتل هادي او لماذا ولكن اغتياله اثار حالة من الخوف والفزع بين اوساط الصحفيين والناشطين وحول مصيرهم حين مغادرة القوات الامريكية العراق خصوصا وان الطبقة الحاكمة في العراق بدأت تستخدم اساليب وتكتيكات تقشعر منها الابدان لاسكات المعارضة وعلى الرغم من الحق المكرس دستوريا في حماية حرية التعبير والذي جاء في اعقاب الاطاحة بالدكتاتور السابق الذي حكم طويلا، ولكن التهديدات والعنف تجاه اولئك الذين يتحدثون علنا ضد حكومة نوري المالكي مازالت في تصاعد مستمر. وقال سامر المسقطي وهو مدير ابحاث العراق في منظمة هيومن رايتس ووتش "اعتقد ان العراق على مفترق طرق مع مغادرة الامريكيين"، واضاف "ان علامات تسلط السلطة مقلقة جدا". وأكد التقرير الأمريكي أن حكومة المالكي "لم تعلق على حادثة اغتيال هادي المهدي ونفت قيامها بتخويف المنشقين عنها والمعارضين لها ولكن العراقية وهي كتلة المعارضة الرئيسية في البرلمان طالبت الجمعة باجراء تحقيق شامل وكامل في عملية اغتيال المهدي وقامت الكتلة والتي يراسها اياد علاوي رئيس الوزراء السابق بالتنديد بحادثة الاغتيال واصفين الجريمة بانها محاولة يائسة لتكميم الافواه واعادة العراق الى عصر الخوف والقمع والاستبداد، وقال متحدث باسم قيادة عمليات بغداد ان قضية هادي المهدي هي عبارة عن قضية جنائية عادية وسيتم التحقيق فيها من قبل الشرطة.وقامت مجموعة صغيرة من الصحفيين العراقيين في مدينة بغداد وما حولها بتشييع هادي المهدي وسط خوف شديد، ويذكر ان هادي المهدي هو الصحفي السابع من الصحفيين الذين قتلوا في هذا العام .وعبرت ذكرى سرسم وهي صحفية محلية وزميلة القتيل في برنامج حواري قائلة: اننا جميعا نشعر بان نهايتنا هي نفس نهاية المهدي". وأضاف التقرير الأمريكي أن الإعلامي المهدي "كان ينتقد بصوت عال في برنامجه الاذاعي جميع السياسيين العراقيين ومن مختلف المشارب بما في ذلك المالكي وعلاوي وكان المهدي يميل الى الدعابة المثيرة وغالبا ما يستخدمها للسخرية من الزعماء المحليين وطرقهم الفاسدة ويذكر ان الموالين للمالكي كانوا يتقدمون بكثير من الشكاوى بحق البرنامج الاذاعي الذي يقدمه هادي والذي يبث ٣ مرات اسبوعيا. وبين التقرير أن المهدي "كان في المقدمة وفي وسط الاحداث حينما حل ربيع الثورات العربية ووصل الى العراق في شباط الماضي وكان المهدي قد ذكر في مقابلة اجرتها معه صحيفة الواشنطن بوست هذا الشهر كيف تم اعتقاله هو واربعة من الصحفيين بعد تظاهرة قمعت بالعنف واوقعت ١٣ قتيلا ووصف كيف اعتقلته قوات الامن واقتادته الى مقر شعبة ١١ للجيش العراقي وقال انه تعرض للضرب والصعق بالصدمات الكهربائية والتهديد بالاغتصاب قبل ان يطلب منه التوقيع على بيان قائلا فيه انه لم يتعرض للتعذيب

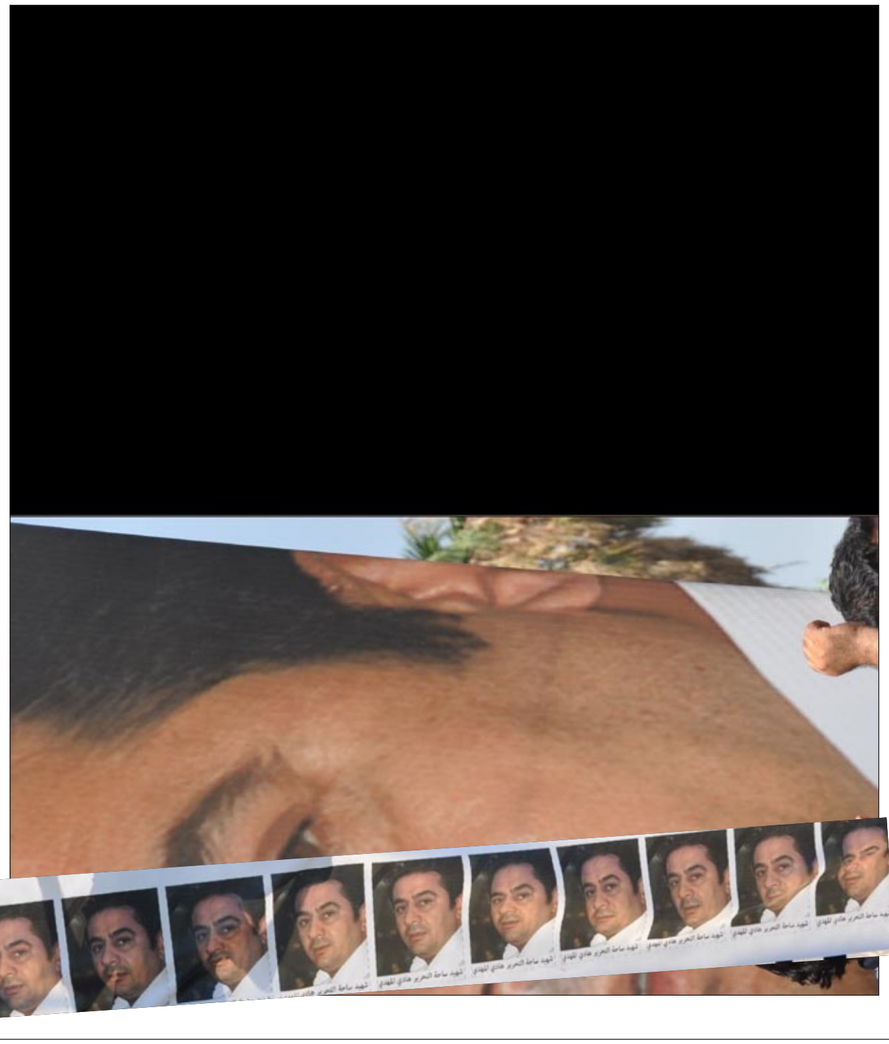

أيها الفتى الجميل .. قتلتك الردة

".. لقد سئمت مشاهدة امهاتنا يشحذن في الشوارع " ، تلك الكلمات ياهادي، هي السيف الذي سلطته على رقبتك، وكنت مدركا لذلك. لانك بما حملت من هم المثقف وسمو الصحفي ورقة المسرحي، لم تحتمل مايجري من خراب في البلاد، أطلقت تلك الصرخة المدوية من قلب مثقل بهموم الفقراء ووحشة وغربة المثقفين والادباء عن بلد طالما حملوه في القلب، ولكنهم وجدوه نهبا لمجرمين ولصوص وفاسدين ومفسدين ومشعوذين ودجالين ومزوري شهادات وقتلة وزعماء ميليشيات، شحذ هممهم الجهل والاذلال واطلقهم من قمقمهم.
هل تنبأت بمصيرك حين ودِعت اطفالك الثلاثة وزوجتك في كردستان؟ هل كان الوداع الأخير؟

... سقطت نجمة اخرى، كانت تضيء جزءا من عتمة ليل العراق حالك الظلام، و طالما ان خفافيش الظلام تتسيد على المشهد العراقي بكل تجلياته، فلن تكون الاخيرة.
نحن مجموعة من مسرحيي وصحفيي السليمانية المجتمعين في ساحة نالي بمدينة السليمانية ومعنا مثقفو كردستان في الداخل والخارج، ندين وبشدة جريمة اغتيال (هادي المهدي) ولن نطالب الحكومة العراقية بالكشف عن المجرمين المتورطين بهذه الجريمة البشعة لاننا سئمنا حتى اليأس من مطالبتهم، وانما نطالب المجتمع الدولي وكل الخيرين في العالم التدخل للضغط على الحكومة العراقية لايقاف نزيف الدم الذي يطال مثقفي العراق وكوادره العلمية.
هادي المهدي كان أعلاميا بارزا في العراق، يبلغ من العمر ٤٦ عاماً، متزوج وله ثلاثة اطفال، وكان يقدم برنامجا اذاعيا معروفا باسم (يا سامعين الصوت) في راديو ديموزي والذي كان يحظى بشعبية واسعة.
ان هذه الجريمة ارتكبت وسط ظروف يشعر معها العاملون في وسائل الاعلام في العراق وكردستان بجو عدائي شديد موجه ضدهم من قبل قوى سياسية ومؤسسات حكومية تستسهل خرق مواثيق حقوق الانسان ومبدأ حرية التعبير في التعامل مع الناشطين والمحتجين والصحفيين... فيا أيها الخيرون في العالم تدخّلوا لايقاف الموت اليومي للمشتغلين بالثقافة في العراق، فان صمتكم... يقتل!
السليمانية ١٠ ايلول ٢٠١١
الموقعون

أسوس هردي - كاتب وصحفي
هورين غريب- مسرحي
واثق حسين –كاتب
جيهن اسماعيل - تشكيلية
شوان محمد- صحفي
فائق كولبي – طبيب
أميرة حسن- مدع عام
كمال رؤوف – صحفي
رحمن غريب – صحفي
أوات علي- صحفي
نهاية حسن محمد – ناشطة مدنية
سيروان غريب صحفي
عثمان حمه سعيد - نقابي
عبد الرقيب يوسف - آثاري
مجيد فرج – صحفي
احمد رجب – كاتب
شيلان علي صالح - مهندسة

محمد الشيخ احمد - محام
توانا عثمان – صحفي
شوان عطوف – مسرحي
خانم رحيم لطيف ناشطة في مجال حقوق الانسان
كاروان جيوار – مسرحي
جعفر معلة – مسرحي
آلا كمال محمد علي- اعلامية
ريبوار هموندي- كاتب ومترجم
هردي عبدالله – مسرحي
جيا هموندي - موظف
شمال حسين – مسرحي
كوران صديق – شاعر
طاهر عبدالواحد – سينمائي
عمر صالح – طالب معهد فنون
ابوبكر صالح – طالب معهد فنون

زمناكو اسماعيل – صحفي
آراس عبدالله محمود – طالب
برهم احمد حمه امين – خريج كلية فنون
سامان حمه كريم – صحفي
بشتيوان كمال بابكر – طالب
شفان حمه جزا – خريج كلية
آراس انور- مدرس
سازان طه – سرحية
أوات باقي – مسرحي
داستان جيوار – مسرحي
كازاو جمال - صحفي
ريزن جمال – مسرحي
دلشاد سيف الدين - صحفي
كوران نامق – مسرحي
امين سمير سعيد – كاتب
آرام سعيد - صحفي
هلال ابراهيم - محام
آران فائق – مسرحي
جمال غريب كريم- كاتب
دشتي علي- مسرحي
عمر احمد محمد - كاتب
ديدار بكر – مسرحي
آرام علي – مدير كلري آرام
دانا فائق – كاتب
برهان قرداغي – مسرحي
عباس محمد – ناشط مدني
دانا جلال – كاتب وصحفي
هشام عقراوي – كاتب واعلامي
زياد الايوبي- شاعر
نهاد القاضي – كاتب
خسرو عقراوي- كاتب
قيس قرداغي – كاتب وصحفي
فاروق صبري – مسرحي
حميد محمد رسول – متقاعد
صباح كاكائي – تشكيلي وشاعر
فتاح زاخوبي – وزير الثقافة الاسبق
حسن جودي – صحفي
قادر محمد رسول – موظف
علي محمد – صحفي
رحمن غريب – منسق مركز ميترو للدفاع عن حقوق الصحفيين- ٠٧٧٠١٥٢٣٣٠٠

شمعة تنطفئ في ليل العراق المظلم

د. نزار احمد

اليوم انطفأت شمعة مضيئة ظلت منذ ٢٤ شباط ٢٠١١ تنور ليل العراق المظلم..كل يوم جمعة تعودنا ان نراها تشعل ساحة التحرير بنورها وعطرها وشجاعتها وتضحيتها...كل جمعة تحترق وتعود شامخة نابضة في الجمعة التي تليها....عندما فشلت جميع محاولات اسكات صوتها تم قتلها مع سبق الاصرار لتنطفأ كما انطفأت قبلها آلاف الشموع الحرة الكريمة الصارخة بوجه الفساد والخيانة والتقصير والطائفية والرضوخ في احضان الاجنبي... الى ذلك لم تمت روحك ايها الشهيد البطل هادي المهدي ولم تخمد شمعتك بل ولد آلف هادي المهدي واشعلت ملايين الشموع التي سوف تضيء ليل العراق المظلم فارشة نورها على وجوه الفاسدين والسارقين والمجرمين وسفاكي دماء ابناء العراق....موتك ايها البطل ولادة العراق الجديد، عراق البطولة والتضحيات والرجولة والشهامة والتحدي ... قبل ساعات كنت اخجل عندما يسألني الاجنبي عن جنسيتي ولكنني الآن اصرخ بأعلى صوتي أني عراقي لأن البلد الذي انجب شهيدا وبطلا ومناضلا ورجلا واعلاميا وفنانا كهادي المهدي هو بلد ما زال حيا يرزق ولايمكن لفاسد او مجرم او عميل ان يجعله راكعا تحت قدميه.... فدماؤك الطاهرة يارفيقي هي مياه دجلة والفرات وحتما سوف تقضي على الجبن والخذلان والقبول بالعيشة الرذيلة وحني الرأس .وسوف تنبت اشجار الرجولة في ملايين العراقيين وسوف تخرج الرجال من اغوارها....لن اقول اني حزنت لموتك لأنك نلت وفزت بما لم استطع حتى الظفر بجزئياته ولم يستطع ثلاثون مليون عراقي ان يقولوا نحن كهادي المهدي...
هنيئا لك ياغاليا تاج العراق

حارس نصب الحرية

فوتوغراف ونص كفاح الامين

من لايعرفك يعتقد انك ترغب باحراق اردية الزمن والطيران بنعال من ريح صوب الضفة المشتهاة، هكذا يتراءى لهم، لكنك بكل بساطة تجهز على هذه المخيلة بابتسامة من فوق اريكة المقهى، وبصوت يشبه صوت نادل مقهى رخيته:
– واحد شاي مع جواد سليم!
فتعيدهم الى رصيف الواقع المغلول بعذابات الامهات المختلفة، بالعيون المشدوهة صوب انكسار الاحلام، بالاكف وهي تعلن انضمامها الى الحالمين بالحرية، حيث لا مكان للجلادين حيث لا طعم كطعم الشاي الممزوج بحلاوة الامل في مقهاك الشارد دون ابتسامتك، دون مساء يسألك السمك السابح في ركن الكرادة عن وطن تحبه!
إلا انك لا تجيب!
لا تجيب!
والسمك ايها الجميل يسبح في بحر دمك!
تحت نصب الحرية ثمة مقاه مفترضة، مقاه معرفية للشعراء وقناصي الكلمة وناثري التلفاز في عيون المتمرين في بيوتهم!
مقاه للحمر والحالمين بجيفارا وعدالة اقتسام الخبز نصفين:
نصف للفقراء، ونصف آخر للمتعبين!
مقاه للامهات اذ يذرفن الدمع ممزوجا بالغضب والامل اللامنتهي في مقابلة احبة العمر الذين كانوا هناك لكنهم غيبوا او رحلوا!
مقاه للشقاوات وقطاع طريق الحرية دون وجه او هوية! مقاه ومقاه، اما مقهاك هنا تحت نصب الحرية فأن رواده الغارقون في مسرح الحياة واحتداماته، في بروفتك الاخيرة لجهنم لم تعرفه القواميس بعد!
حينما اخبرتك اني بصدد طبع رباعية نص بصري فوتوغرافي، وان احد عناوين هذه الرباعية هي (السمكة الميكانيكية)، اخذتك نشوة طفولية مع ابتسامة معروفة عندنا وقلت:
– انك تقترب من بروفة في جهنم، ستطير الاسماك!
– تطير الاسماك، انها فكرة جميلة ولكن كيف!
السلاحف تطير في فلم بهمن قوبادي، فلماذا لا تطير الاسماك عند كفاح الامين.
كنت تقول ذلك وانت تخترق ظلام الليل بافكارك حول المظاهرات والنصوص المسرحية القادمة، بتهافت الصعاليك ومزوري التاريخ، والافلام المقترحة للاصدقاء في مقهى رخيته بين الثلج والنار!
كانت الوقائع بين اصابعك، وكنت تضفي على الألم نوعا من الأمل الذي كان في دمك.
دمك الذي يحلق الان ليصافح ابنا في الجزء الأخر من عالمك أسميته في هويته الشخصية (الأمل).
(ابن الشهيد هادي يدعى هيوا / أي الأمل باللغة الكردية).
هاهم ثلة من شباب نصب الحرية يوقدون في الليل الشموع أمام باب دارك، كأنهم في مشهد مسرحي يؤرخ في الكرادة لرحيل بطل من هذا الزمان!
يخطئ من يعتقد ان التاريخ يكتبه فقط الغزاة والملوك، فهناك خارج لعبة شهوة المال والسلطة ومزوري التاريخ، ذاكرة شعبية تختار احداثها وابطالها، فتلبسهم تاج الحياة دون مراسيم مفبركة او بذخ ممزوج بعار القمع، ذاكرة تلهج بها الامهات كناية، ويسردها الرواة في بيوت تشع الشموع فيها والانتظار.
انك هناك ، هنا، في هذه الذاكرة التي ستعيدك الينا عبر اكف مصرة على كشف القتلة.
الزمن لن يتوقف.
التاريخ لن يرحم الطغاة.
القتلة واهمون
هذا ما أكده رأس سبارتاكوس المقطوع والمعلق على رمح روماني مغمس بزيت مشتعل ، اذ اعتقد بأنهم سيدخلون التاريخ بعد أن يعلقوا رؤوس العبيد الثائرين مع سبارتاكوس فوق رماح مشتعلة على طول الطريق الدال الى روما!
القتلة واهمون.
اذ تجاهلهم التاريخ ومنح سبارتاكوس حرية دخول قلوب الملايين من محبي الحرية والعدالة في ارجاء المعمورة.
القتلة واهمون.
اذ انك دخلت قلوبنا الى الأبد.

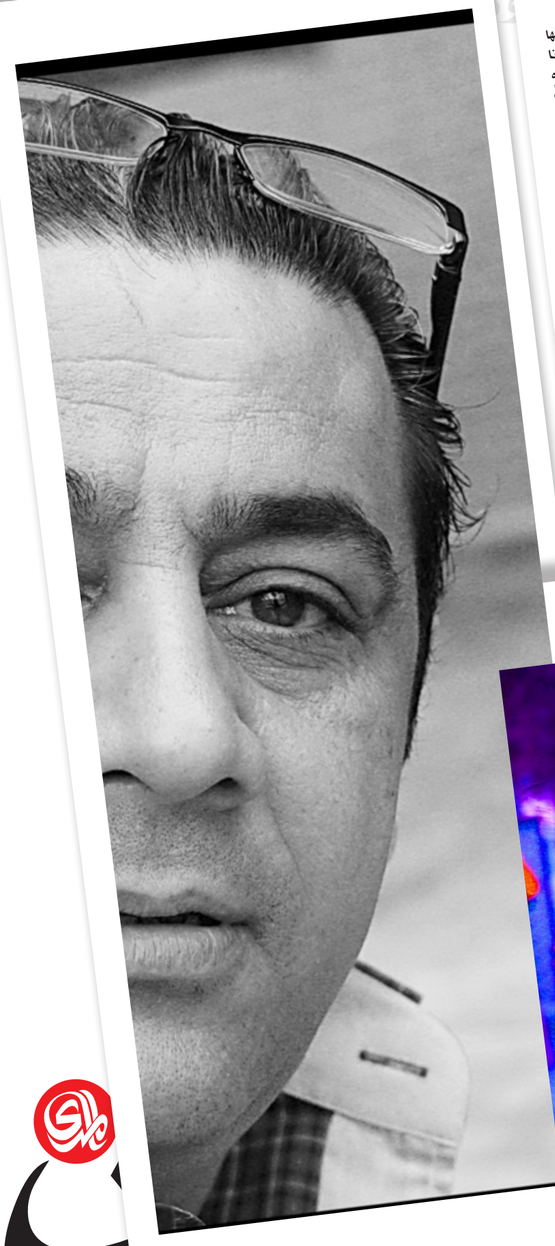

أيتها الحرية، أنت قرآني وإنجيلي

هنا مقتطفات من رسالة وجّهها الشهيد هادي المهدي لزملائه أيّام كلية الفنون الجميلة: أحمد عبد الحسين، وليد عبد الله، ستار كاووش وميديا رؤوف زوجته السابقة المقيمة في الدنمارك.

أصدقائي، قديماً، كنا نصرّ ونعاند البلد الخاكي لنغني للحرية بصمت. معاً في الوزيرية كنا نغني للحريّة والمعرفة والعمق والجمال. غنينا للحرية وكانت أمعاؤنا تصطك من الجوع وملابسنا تقطر رثة، وكتبنا مهترئة، وكانت بغداد تغرق في وحل من الدم والكراهية واللون الزيتوني ونهيق القائد وحزبه. وكان العراق الخائف الهلع أيضاً يهتف أو يتمرّد سرّا. كنا نغنّي ونواصل العزف على نفس مقام الجمال.كنا نغني: أيّتها الحريّة، أنت قرآني وإنجيلي. مهد طفولتي ومدرستي وفانوسي. أيّتها الحريّة، أنت أمي. أيتها الحريّة قنّبليني بشفتيك. دعيني أسكر بخمرتك التي لا تزول. خذيني نحو السماء لأكون شمساً وضياء. أصدقائي: أين أنتم الآن؟ أين أنا الآن؟ أين هي تلك الحريّة التي حلمنا بها منذ ولادتنا؟ عاش في البلاد مغول وتتار وفرس وأميركان. كلهم داسوا على أحلامنا التي ذبلت على ضفاف دجلة. ذبلت على شفاهنا. ذبلت على جدران قلوبنا التي تحولت الى معابد سوداء داكنة لمأتم الحريّة. لا عيد بعد الآن، لا قبلات. شفاهنا التي غنت طوال الأمس تحجّرت من طول الانتظار والحرمان. الكل جاؤوا وذهبوا إلا الحريّة. ترى، هل جرحنا قلب الحريّة وأجرَنا روحها وكدرنا صفوها لكثرة ما أمنّا بها وغنّينا وصلينا وسجدنا لها؟ فهجرتنا وتركت لنا وحوشا لهم قلوب دواب مريضة يدوسون بتباه على أبدغتنا ويفسدون أعمارنا» أصدقائي: بقيتُ وحيداً، وبكيت وحيداً، وسكرت وحيداً، وصليت وحيداً، وهتفت وحيداً، وغنيت وحيداً للحريّة أيضاً وأيضاً رغماً عنها وعن أي قدر. وطالعت فجأة طفلة زنجية كتبت قصيدة تقول فيها: لو أنّ الأرض مربعة لاختفينا في زواياها. لكنّها دائرية، لذلك توجب علينا مواجهة العالم. مواجهة الحياة... آه. آه كم حسدت قلب تلك الطفلة الزنجية وكم تذكّرت المسيح والحسين وغاندي وغيفارا وبوذا، وتذكرت بطلا بقي وحيداً من قبائل الهنود الحمر المبادة وظل يصرخ: لن أستسلم، لن أهرب فهذه أرضي وغابة أحلامي ومهد طفولتي وعقيدتي ومنتهاي. أصدقائي: سأواصل دربي ولن أهرب ولن أرتجف ولن أخاف. سأصرّ هذه المرّة لا على الغناء، بل على الهتاف للحريّة تحت نصب جواد سليم على أعثر على قبري تحته وأنام بسلام. هناك تحت نصب الحرية، أريد أن أرقد، وأنام، أنام طويلاً أحلم أن يكتب اسمي على نحو صحيح على شاهد قبري. وأحلم أن يأتي لزيارتي ولو لمرّة واحدة ابني نالي الذي لا يجيد العربيّة. أحلم أنه سيجيد قراءة اسم ابيه عاشق الحريّة وشهيدها بطريقة صحيحة.

هادي المهدي (23 آذار 2011)

بغداد... اغتيال المشاكس!

رشيد الخيون

أُعلن عن اغتيال الكاتب والفنان المسرحي هادي المهدي ببغداد، الخميس ٨ سبتمبر ٢٠١١، قُبيل تظاهرات الجمعة بمساء واحد، وكان أبرز منظميها. هاجر المهدي، مثل غيره من العراقيين، واستقر بدولة من دول الجوار، للانتقال إلى بلاد اللجوء الإنساني. البلاد التي تحتضن متناقضات شعوبنا، وتتعايش بربوعها بقوة القانون. لا دينًا يحكم ولا مذهبًا، ولا حزباً يقصي الآخرين. بعد أبريل ٢٠٠٣ عاد المهدي مع مَن عاد، والحلم كان يلامس الجفون: عراق خال من الحزب القاهر، والشخص الحاكم بأمره، وتسلط آلة الموت.

كانت نوايا العائدين متباينة، لبناء العراق أم لغرض آخر. فالحديث يقول: "إنما الإعمال بالنِّيات، وإنَّما لكل امرئ ما نَوى، فمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ"(صحيح البخاري، كتاب النِّكاح). عندما تَنظر في ما آلت إليه الأمور، بعد أبريل ٢٠٠٣، ستفضح لك الأفعال اختلاف النّوايا في الهجرة المضادة: مَن نوى إلى المال فأصابه، عبر تعدد المشارب والسُبل. ومَن نوى لاستبدال زوجته فتزوج ما طاب له، وترك امرأته تستمر في حياة اللجوء، ومَن كانت عينه على قصر من قصور الرئاسة السابقة فعل المستحيل للحصول عليه، ومن هاجر من أجل امتلاك عقارات الدولة كان له ذلك.

أما أمثال هادي المهدي فلا تبدو هجرتهم إلا لمشاكسة تلك الأحلام والنوايا، ومحاولة الحؤول دون تحقيقها، على حساب أجيال هرستها الحروب وأدقعها الحصار دقعاً، والمعنى ألصقها بالتُراب فقراً وذلاً، وما عُرف الإمام علي بن أبي طالب (اغتيل ٤٠ هـ) بأبي تُراب إلا لفقره، ولصق خده بتُراب المسجد، لا بمرمر القصور الرئاسية. قال منظف حوض سباحة، رئيس وزراء وعميد حزب ديني سابق، إن مخدومه كان يتضايق من ورق شجر الحديقة المتساقط في حوض سباحة قصر الرئاسة وقصره الحالي، لأنه يسبب له حساسية في جلده! تم هذا التَحول في طريقة وسلوك العيش خلال أسابيع، فوا عجبي!

حلم هادي المهدي كان مختلفاً عن هؤلاء، إنه لشدة ما عاش من ضيق في الزمن السابق، ولألق الديمقراطية التي عاشها ببلاد اللجوء، وما في ضميره من هاجس المثقف الفنان، أخذ يُعاند ويعاند، غير مصدق أنه يمارس الديمقراطية في الحقيقة لا الحلم، وكأنه أراد بمشاكسته التأكد من وجودها قولاً وفعلاً، مستبعداً أنه سيكون أحد القرابين على مذبحها.

سكت هادي لسنوات ما بعد أبريل ٢٠٠٣، لعل الحلم يتحقق، ولعله يُصيب ما أراد، لا زوجةً رابعةً ولا جامعةً يملكها ولا ميليشيا يقودها، ولا حوزة يلقي فيها مواعظه الدينية، ولا تيجانًا وسيوفًا يضعها على كتفيه، ولا عمامة يغري بها البسطاء، ويحلبهم حلباً، عبر ثقافة الكهنوت، ولم يكن حلمه رفع السلاح أو افتعال خطاب المقاومة الكاذب. فهو صريح الضمير، يعلم علم اليقين أن الحلم تحقق عبر الأجنبي، وكان لاجئًا محميا لدى الأجنبي، لكنه عوض عن أكذوبة المقاومة وحقيقة الإجرام عبر المليشيات والكتائب، أخذ يُفكر بثمن القبول بالاحتلال، أو مقاومة الاحتلال بطريقته، وعدم ترك الفرصة الماسية تذهب من ربوع بلاده هباءً.

بعد سنوات، وهادي المهدي ينتظر، ونحن عندما نكتب عن المهدي، نأخذه ظاهرةً وليس فرداً، فدمه جار في عروق آخرين. كان ينتظر وينظر النّوايا لعلها تحققت لأصحابها ليكتفوا بما أصابوا. لكن المطامع لا تقف عند حد، بل هي حلقات، مَن تملك بيتاً يريد الثّاني، ومَن تزوج ثانية يطلب الثّالثة، فهم لم يدركوا من حالة الترمل بين العراقيات سوى اللذة، مثلما لم ينظروا في ثروة البلاد سوى الغنائم، وبالخمس والزكاة تُطهر الثّروات مهما كانت مصادرها، ومقولة "مجهول المالك" حاضرة.

في ٢٥ فبراير من هذا العام وجد هادي المهدي القوم قد أغوتهم اللّذائذ، من متدينهم وغير متدينهم، كلهم سواء "لا أستثني أحداً"، والعبارة للشّاعر العراقي مظفر النّواب، الذي عاد زائراً بغداد واستغنت رئاسة الحكومة عن استقباله، وهو القائل مناشداً علي بن أبي طالب: "أنبيك علياً لو عدت اليوم لقاتلك الدّاعون إليك وأسموك شيوعياً". وهنا تصدق كلمات مظفر تلك، فلو عاد ابن أبي طالب، وشاهد ما شاهده هادي المهدي واحتج من أجله لحاربوه واغتالوه. أعلم أنهم سيرجموني في ما سيكتبون ويقولون ويتمنطقون بالتقوى، بأني شبهت هادي بعلي. وها أنا أستبقهم راداً: علياً الذي نعرفه غير علي الذي صنعتموه على قدر مصالحكم، ترفعونه لافتة للهيمنة به على العقول وتكريس الخرافة، وجمع المال، وإشباع النّزوات.

حشد المهدي التّظاهرات الاحتجاجية، فهو لم يجد حلاً قريباً يدور في الأفق، ولم يجد بوعزيزي التُونسي أشجع منه، ولم يجد الشّباب المصري أكثر منه حرصاً على محاربة الفساد، ولم يجد الضحايا السُوريين أرخص دماً من دمه. نعم ببغداد ديمقراطية، لذا ظن هادي ليس لهراوات الشرطة المصرية، أو التونسية، ولا لرصاصات الجيش السوري العقائدي، مكان ببغداد، فحمل لافتات تعميق الديمقراطية، ومحاربة مافيا الفساد، لكنه هوجم واعتقل، وظهر شاكياً لآية الله، مرجعه الدّيني الذي لاذ بظله المقتحمون لساحة التّحرير والمهشمون لرأس هادي وصحبه من الشباب.سمعنا زوجة المهدي تقول: كان كائناً غير حزبي، ولا يعرف العمل السياسي، إنما كان يقول: "إذا أسكت أنا ويسكت ذاك فمَن يتكلم والبلد مسروق منتهك". كان هادي يتسلم التهديدات، ولم يحسبها بدقة، وقُبيل اغتياله كتبها كأنه هازئًا فيها على صفحة الفيسبوك، لكنهم ما كانوا يهزؤون.

أقول للاغتيال طرق وأساليب، ولعلّ من أهمها الإيماءة بالكلمة أو الإشارة باليد، هذا ما مارسه مؤسس "الإخوان المسلمين" حسن البنا (اغتيل ١٩٤٩)، عندما أومأ باغتيال أحمد الخازندار (اغتيل ١٩٤٨) قائلاً: "لو واحد يخلصنه منه" (عبد العزيز كامل، في نهر الحياة)، والشّاهد أحد أعمدة "الإخوان" الكبار. لكنها سنة واحدة، أو أقل، ويواجه البنا المصير نفسه.

معنى المشاكس: صعب الخُلق، فقيل: "شَكسَ عبوسٌ عنبَسٌ عَذوَرٌ (الجوهري، الصّحاح). وكان المهدي كذلك، لم يرتدع لاعتقال وللكلمات حكومية في وجهه، ولم يرتدع لتهديد، فإذا لم يكن هو المشاكس فيا ترى مَن المشاكس.

عن صحيفة الاتحاد الاماراتية

هادي المهدي مخرجاً مسرحياً

الحياة تبدأ غداً دائماً وأبداً في موجز حرب

عبد الخالق كيطان

تعارف

كنت أحمل صورة افتراضية للمخرج المسرحي هادي المهدي صنعها في ذهني عرض مسرحي قدّمه في منتدى المسرح وساحل دجلة قبيل مغادرته العراق إلى المنفى أواخر عقد الثمانينيات في القرن الماضي. حمل العرض عنواناً لافتاً: "أيها العالم الغريب وداعاً".. هو عنوان لافت إذا ما استعدنا أجواء أواخر الثمانينيات حقاً. كانت الحرب مع إيران قد وضعت أوزارها، وفترة من الترقب المزوج بالأمل تشعّ في الشوارع. كنت حينها طالباً في أكاديمية الفنون الجميلة مع توجهات في النقد المسرحي، وكان المهدي على أبواب تخرجه من فرع الإخراج المسرحي.. الوسط الأكاديمي، قبل المسرحي، تقبّل عرض المهدي بترحاب كبير لأنه كسر تابو معمار المنتدى القارّ. هذا المعمار الذي كان يشكل عقبة حقيقية أمام تجارب المخرجين. كان قلّة منهم من يستطيع التغلب على معمار البيت البغدادي بغرفه الكثيرة وشبابيكه المتشابهة وذلك المحجّر الخشبي الذي يحيط باحة المنتدى من الأعلى.

يتذكّر المسرحيون وجمهورهم على حد سواء في تلك الأعوام عرضاً ريادياً للمخرج الراحل عوني كرومي حمل عنوان: "ترنيمة الكرسي الهزّاز". ذلك العرض الذي تعامل مع معمار منتدى المسرح بطريقة حديثة مهّدت السبيل لمن حاول بعده التعامل مع فضاء المنتدى. لا غرابة أن نقول، على طريق الاستطراد، أن هادي المهدي كان يعدّ تجربة كرومي واحدة من أبرز تجارب المسرح العراقي. وفي كل حواراته معي، أو تلك التي شهدتها بينه وبين غيري، لم يكن المهدي ليخفي تأثره بالمعلم. وكان يسهب في تحليل أسلوب كرومي الإخراجي وتأثره به.

ما الذي فعله المهدي في عرضه المسرحي، الذي أعلن ولادته، بعد عدد من الأعمال داخل أسوار أكاديمية الفنون؟

الجواب ببساطة يتمثل في شقين: الأول يخصّ شكل المسرحية والثاني يخصّ مضمونها.

في المضمون كان العرض صرخة احتجاج كونية، أو قل وجودية. وفي الشكل عدّ العرض مغامرة خطيرة، عندما قام المهدي بدفع جمهور المسرحية لتتبع أبطال العرض من باحة منتدى المسرح إلى شاطئ دجلة، حيث يعبر الممثل نصير عبد الستار (يقيم حالياً في كندا) السياج الذي يفصل بين الشارع العام الواقع وراء المنتدى وشاطئ النهر، ثم يغوص في الماء وسط نظرات المشاهدين الحيرى!

فرّ المهدي بعدها من العراق. ونحن نعرف أن قصة الفرار من العراق قصة أسرة بالنسبة لكثيرين، وها هي الأساطير تنشب بغثة حول صاحبنا. فرواية تقول أنه عبر إلى إيران، وأخرى إلى كردستان وثالثة إلى سوريا. وفي جميع الأحوال كانت هذه الأمكنة الثلاث تمثل بالنسبة لأبناء جيلنا معنى واحداً: الانتقال العلني إلى صفّ معارضة النظام الحاكم آنذاك.

الصورة التي بقيت في ذهني منه تتمثل بالمسرحية، وغرابتها. وتتمثل أيضاً بمخرجها، قصير القامة، الملتحي، الذي يرتدي سترة داكنة ويضع قبعة على رأسه. قد تكون المخيلة صنعت شيئاً من هذه الصورة، وقد تكون الصورة واقعية تماماً، إلا أن هادي غادر...

بعد أعوام من ذلك، وكنت حينها اقيم في مدينة بعيدة جداً عن منتدى المسرح، تصلني رسالة بالإيميل من هادي تدعوني لزيارة موقعه الألكتروني الذي دشنه للتو. وأشكره برسالة جوابية، وأذهب من فوري إلى الموقع. أتصفحه وأترك رسالة فيه. عدت اليوم إلى الموقع، ووجدت جملتي في مكانها:الفنان المجتهد هادي المهدي: زرت موقعك أكثر من مرة ووجدت فيه ما يفيد على طريق بناء مسرح عراقي متطور. نحن أحوج ما نكون الى مواقع معنية بالثقافة العراقية، والمسرح بضمنها، في ظل سيادة نموذج الرداءة الذي تتبناه المؤسسة في العراق..تقبل محبتي وشكري..

أما تاريخ ذلك فكان: ٢٠٠٢/٢/١٧. كتبت عدداً من المقالات عن مسرح التسعينيات. وكنت أشير في تلك المقالات إلى أبناء هذا الجيل، وكان أسم هادي يرد فيها مع غيره. وكان يتابع ما أكتب ويرسل لي كلما ظهرت مقالة جديدة ليثني على ما كتبت. وعندما وصلت بغداد في العام ٢٠٠٨ لكي أنهي إقامتي في المغترب، كان المهدي قد سبقني إلى هنا، وكان من السهل عليه أن يقدّم نفسه لي في مقهى صغير بالكرادة الشرقية.

دخل إلى المكان يسبقه ضجيجه. لم أتعرّف إليه، صافحني مثلما صافح غيري، ولكن المخرج كاظم النصار سألني: ألم تتعرف إليه؟ نفيت في إجابتي، وانتبه هو، وعندما نطق النصّار باسمينا لبعضنا البعض هبّ لعناقي. أوحى لي من خلال اللقاء بأننا لم نكن سوى صديقين افترقنا لخمس دقائق بسبب ذهاب أحدنا إلى مطعم قريب! وبدأت معه سيرة جديدة.

خلفيات

على مدى أربعة أعوام (٢٠٠٨-٢٠١١)، تقاسمت وهادي المهدي ذكريات لا تعدّ. جوهر تلك الذكريات كان المسرح. خضنا معاً حوارات طويلة في المسرح. كانت رؤانا في الكثير من الأحيان تتطابق. وكان جهده التفكيري في المسرح باذخاً. ملاحظاته مدهشة في أغلب الأحيان، وهو صعب المراس في تلقي العروض المسرحية. لم يكن يجامل في رأي. ولكنه قد يجامل أمام صاحب العرض المنقود لاعتبارات اجتماعية. وعندما نصبح وحيدين معاً يكشف لي عن تصوراته الحقيقية أزاء ما يقدم. لم يكن يرضى بسهولة.

أمثلته العليا عراقياً تتلخّص في بضعة أسماء: عوني كرومي، فاضل خليل، صلاح القصب وعقيل مهدي. ينظر إلى هؤلاء بوصفهم أكبر من معلمين وأكبر من مخرجي مسرح. إنهم بالنسبة إليه آباء روحيون. كان يتحدث عنهم بحماسة منقطعة النظير. وفي أحيان كثيرة كان يخصّ الفنان شفيق المهدي بودّ خاص. وكذا الأمر مع الفنان ناجي عبد الأمير.

ولما اكتشف علاقة حميمة ربطتني طويلاً بالفنانين عبد الخالق المختار وحكيم جاسم سرعان ما عدّهما صديقيه الحميمين. لا غرابة بعد ذلك أن يكون في مقدمة من بكى على المختار عندما وصل نعش هذا الأخير قادما من سوريا شتاء العام ٢٠٠٨، بل ووقف مع المشيّعين والمعزّين كأن المصاب مصابه، ولما أعدت ملحقاً عن الراحل لجريدة "الصباح" آنذاك، كان أول من اسهم فيه. لم يواسني شخص بمصاب المختار أكثر من المهدي. أما الفنان حكيم جاسم فصار بالنسبة إليه قديساً خالصاً. يسمع منه ويستمع إليه. كانت كلمات حكيم بالنسبة إليه أوامر لا يمكن إلا أن تنفذ.

وفي فترة لاحقة، العام ٢٠٠٩، صرنا: هادي وحكيم وأنا، ثلاثيا. دخلنا معاً في عمل مشترك بإحدى الفضائيات، ولما سافر حكيم جاسم إلى سوريا لعمل فني عملت المهدي في مكان آخر فافتقدنا ثالثنا.

ثم تركنا هذا العمل لنتفرغ إلى الدراسة الأكاديمية حيث قبلنا معاً في الدراسات العليا، قسم الفنون المسرحية، هو عن فرع الإخراج المسرحي، وإنا عن فرع الأدب والنقد. هكذا أمضيت عاماً آخر معه. كان عامنا الدراسي الأول في الأكاديمية: ٢٠٠٩/٢٠١٠.

في هذه الفترة كرّس المهدي وقته لعملين مختلفين: التلفزيون والمسرح. في التلفزيون دخل شريكاً ومنتجاً منفذاً مع إحدى القنوات التلفزيونية المحلية. وفي المسرح كان يشغله أن يقدم مسرحية ثانية في بغداد بعد عمله الأول: "بروفة في جهنم" الذي قدم عام ٢٠٠٩ على خشبة المسرح الوطني. ولكنه كان نشيطاً أكثر في التلفزيون. عمل مع عدد من الفضائيات بوصفه معداً للبرامج ومخرجاً. وتمنى أن يقدم برنامجاً تلفزيونياً فلم يفلح. وجد ضالته أخيراً في تقديم برنامج إذاعي يومي، تحول إلى ثلاث مرات في الأسبوع، كان يبثّ على الهواء مباشرة من إحدى المحطات المحلية. ولكن البرنامج سرعان ما تحول إلى همّه الشخصي، ذلك الهمّ الذي يفرغه وراء المايكروفون في نقد مباشر وعلى الهواء للعمل الحكومي.

خصومات بغداد

دخل في هذه الأعوام: ٢٠٠٨، ٠٩، ١٠ في خصومات عديدة داخل الوسط الفني. أبرزها تلك التي جرت فصولها بينه وبين دائرة السينما والمسرح. ولم ألبث، وحكيم جاسم، في أن نتحول إلى "عمل مطافئ في حرائق المهدي الفنية". كانت سلاطة لسانه مع خصومه عنيفة في كثير من الأحيان ما يتطلب منا أن نردعه كلما أمكن ذلك. والحق أقول أنه كان يرتدع في أغلب الأحيان فيبادر إلى الإعتذار من خصومه.

لم تكن حرائقه شخصية على أية حال. ويشهد خصومه بأنه كان يحترق في داخله بحب المسرح. كان يريد مسرحاً لا وجود له في عراق بلا مسرح أصلاً. ذهب مرات عديدة لنقد المؤسسة العامة للسينما والمسرح في ملاحظات تخصّ آليات عملها، وفي هذا النقد كثيراً ما كان يجرح فنانين نكنّ لهم الاحترام، بل يكنّ هو شخصياً لهم محبة كبرى.

وأمام جمهور كثيف حضر مسرحيته الثانية في بغداد: "هاملت تحت نصب الحرية" وقف ليعتذر للفنان شفيق المهدي، مدير عام السينما والمسرح، الذي كان شمله بنيران غضبه الجامحة أكثر من مرة، وتقبل الفنان شفيق المهدي اعتذاره برحابة صدر. تصافحا علناً واحتضنا بعضهما البعض. فصفّق لهما الجمهور طويلاً. كان مشهداً غريباً في مسرحنا العراقي، بل قل في ثقافتنا العراقية، أن يبادر "مخطئ" للإعتذار العلني من الشخص الذي أخطأ في حقه. هادي كرّر اعتذاره لآخرين نالهم منه أذى.

وضعت هذه الخصومات المهدي في قلب المشهد المسرحي، بعد أن قدمه عرضه المسرحي الأول بوصفه مخرجاً مغايراً. ولكنه داخل أسوار أكاديمية الفنون رسم صورة أخرى له. صورة طالب الدراسات العليا الذي لا يتغيب عن دروسه ويدخل في حوارات علمية وجادة مع اساتذته. وكان الفضاء الأكاديمي قد شذّب الكثير من اندفاعاته.

ولما وصلنا إلى العام الأخير: ٢٠١١ صار لزاماً علينا، أنا وهو، أن نفترق لبعض الوقت. فلقد انشغل كل منا بحياته، وأيضاً بإكمال متطلبات الدراسة: كتابة البحث العلمي.

فهمه للمسرح

لم ينظر هادي المهدي للمسرح إلا بوصفه لعباً. سحره مفهوم اللعبة المسرحية. ولهذا كان الارتجال غايته. وفن الارتجال بحاجة إلى ممثلين مغامرين، ولم يجد مثل هؤلاء إلا خارج الاحتراف. فقدّم في عمليه عدداً من الممثلين غير المعروفين، الشباب، وشيّد على اكتافهم عملين مسرحيين نالا الكثير من السجال.

في عمله الأول في بغداد: "بروفة في جهنم" اختار هادي المهدي بقعة صغيرة من مساحة خشبة المسرح الوطني الكبيرة ليرسم عليها بروفته. هذا البساط الافتراضي لخشبة يتمرن عليها ممثلون يحرصون على عدم الخروج منها أبداً، فخروجهم يعني دخولهم في عالم آخر غير عالم البروفة الذي يريده المخرج، والذي سرّب من خلاله رسائله العديدة.

وهادي المهدي يدرك جيداً أن اختياره لأربعة كراس لا غير على خشبة مسرحه المضاء بلون واحد سيجبره على الانفاذ مع الممثل إلى أقصى غايته، وهو اللعب بالجسد والصوت وتنوع الشخصيات، فأثر مع دقائق العرض أن يكون ممثله بطلاً فعلياً للعرض ولا شيء سواه، هكذا قدم لنا أربعة ممثلين غير محترفين ولكنهم استطاعوا أن يشكلوا نغمة نشاز في مسرح كهل.

اللغة المنطوقة في عرض "بروفة" تريد أن تكون قريبة من نبض الشارع، فاختار اللغة المحكية.

لقد برع المهدي في تحريك ممثليه على البساط، براعة سببها جسد الممثل أولاً، ذلك الجسد الذي يلبي طموحات فرضيات المخرج، كما أن قدرة ممثليه على تشخيص عدد من الشخصيات المختلفة سيضفي لمسة حانية أيضاً على أداء الممثلين. واللعبة قديمة، أعني أن نرى على الخشبة ممثلاً يؤدي شخصيات مختلفة، أستنفد هذه اللعبة المونودراميون الكثر، ولكنها تظل لعبة خطرة استطاع أبطال المهدي الوصول بها إلى غاية منتهاها، وهو الإمتاع.

لقد بدا المخرج مسيطراً على عناصر الاشتغال المسرحي من خلال رسم حركة ممثليْن دقيقة، واقتصاد في الدفع النفسي والانفعالي للمثل.. وتبدّى عمل المخرج بوجه خاص في التكوين المشهدي العام للعرض من خلال بناء جمالي مقتصد إلى أبعد الحدود وفي الآن ذاته يعمل على إنتاج الدوال طوال العرض..

لم يفضّل المهدي الهوس بالصورة، التي ميّزت مسرحنا خلال العقود الأخيرة، وخاصة عند المخرجين الشباب، على حساب الأفكار، بل كان حريصاً على أن يقول ما يريد قوله بلغة واضحة ومباشرة جداً.

ومشكلة هذا النوع من العروض في وقوعها أسيرة الشعارات. فلكي تكون قريباً من نبض الشارع، تذهب في الكثير من الأحيان إلى السهل والمتداول، وبالرغم من الأفكار العميقة في العرض، وبالرغم أيضاً من تكنيك المونتاج المسرحي الذي يتيح للمتفرج المشاركة في إعادة تركيب العرض، إلا أنه ظل يكرر بعض المقولات الشعاراتية. والمسرح، في تقديري، لا يحب الشعارات، فهذه مكانها المنابر لا خشبات المسارح. إن ما يجعل من عرض "بروفة" عرضاً مختلفاً هو في ذلك البناء المحكم الذي شيّده الإخراج بمعونة عدد من الممثلين شديدي الولع بما يقدمون. هكذا استحق أبطال المسرحية تصفيقاً طويلاً من الجمهور وحفاوة في الصحافة المحلية.

في عرضه الثاني سقط هادي المهدي في فخّ التكرار.

لقد قرأت نص "هاملت تحت نصب الحرية" الذي كتبه بنفسه، وتحاورت معه كثيراً حوله. ثم بدأ يجري تمريناته على المسرحية في كلية الفنون الجميلة ليقدمها بوصفها جزءاً من متطلبات الدراسة. كثيرون كانوا يتشوّقون ليروا جديده المسرحي، وكنت من هؤلاء. دعاني ذات ظهيرة، ومعي عدد من الأساتذة يتقدمهم الأستاذ القدير سامي عبد الحميد، لمشاهدة تمريناً كاملاً للمسرحية. كانت خيبة الأمل كبيرة. غضب الأستاذ سامي وانفعل وخرج من القاعة.. عرف الأستاذ سامي بتشدده في التعامل مع النصوص الخالدة، ووجد في عمل المهدي "إساءة" لهاملت وشيكسبير. بالطبع لم يكن الوحيد الذي يتصدى لنصوص شيكسبير بطريقة متحدية، ولكن عمله هذا كان شديد الصلافة في تقطيع أوصال النص الأصلي، على أن هادي المهدي لم يكن يدّعي، من جهة أخرى أنه يريد تقديم هاملت الشيكسبيري، بل هاملته الشخصي. على أيّ حال، راق صمت ديك بعد مغادرة الفنان سامي عبد الحميد قاعة التدريبات حاول بعدها الفنان هيثم عبد الرزاق أن يخفف من وطأته، ولما حان دوري أعدت عليه أغلب الملاحظات التي سجلتها على النصّ، وحاولت أن أشرح موقف الأستاذ سامي، الذي شهدت مثله في مواقف مشابهة.

كان هادي يستمع بصدق ويدخّن بقوة. من المؤكد أن ما سمعه منا لم يكن يسعده. ولكنه قال أمام الجميع: نحن وكادر مسرحيته، إنه ممتنّ منّا وسيعمل على الأخذ بملاحظاتنا. كانت أبرز ملاحظاتي أن مسرحيته الجديدة تشبه جزءاً ثانياً من مسرحيته الأولى. وعندما قدّم العرض في قاعة جاسم العبودي بقسم الفنون المسرحية بدا أنه ذهب إلى النهاية مع أفكاره هو. لم أكن متحمساً للعرض أبداً، ولذا لم أكتب عنه في حينها. ولقد سمع المخرج من غيري ملاحظتي ذاتها التي سمعها مني قبل ذلك.

مرّ العرض الذي قدّمه بمجموعة من طلبة قسم الفنون المسرحية الواعدين مرور الكرام في المشهد المسرحي العراقي. ولم يحظ بالعناية الإعلامية والنقدية التي حظي بها عرضه الأول. ولقد أحزنه ذلك ولا ريب.

كانت مشكلة العرض تكمن في الإكثار من الشعارات على حساب عناصر العرض الأخرى كلها. صحيح أنه حفل ببعض العلامات التي من الممكن التأسيس عليها، ولكنها علامات بقيت في حدود التصوّر الأول، أي أنها لم تستطع أن تشكل تأويلات جديدة تمنح المتلقي قدرة على التفاعل مع العرض. كان كل شيء في العرض مباشراً من الألف إلى الياء. هوسه بالسياسة بدأ يتضخم الآن، ولهذا عدّت المسرحية بياناً سياسياً ضدّ أشياء كثيرة، ووسط هذه الرؤية فوّت على نفسه فرصة أن يقدم للجمهور عرضاً جمالياً يناسب قدرته التفكيرية بالمسرح.

إن هادي المهدي مخرج مسرحي من طرازٍ خاص. والسبب في ذلك تكريسه جلّ وقته للفن المسرحي. فهو يقرأ باستمرار، ويبحث على الدوام عن أحدث ما يكتب فيه. وكان يكتب، في بعض الأحيان، أفكاره على شكل مقالات تدلّ على وعي ناصع بالمسرح، جمالياته وبنياته. ولهذا كنت أعنّفه كثيراً بخصوص عرضيه السالفين، فأنا أتوقع منه ما هو أكبر بكثير من الذي قدمه، وكنت أعتقد أن المهدي، لو توفرت له الظروف المناسبة، خاصة من ناحية الانتاج، لأبهرنا بعروض مسرحية فيها الكثير من العمق والجمال.

إن هادي المهدي يأخذ من عوني كرومي ولعه بالممثل، ومن فاضل خليل الأفكار ومن صلاح القصب الصورة ومن عقيل مهدي الالتزام في خلطة خاصة يستطيع الباحث تلقف آثارها في عرضيه السالفين، مع محاولته الناجحة في اجتراح رؤيته الشخصية التي لا تذكر أبداً بهؤلاء!. إن كلاماً من هذا النوع لا يحتمل الفذلكة، بل الإمعان في سيرة المهدي الفكرية والإخراجية في الوقت عينه.

إهداءات مسرحية

لم أستغرب أو أكذّب صاحبي عندما أخبرني أن رجلاً عارفاً كان يناديه بالفيلسوف. فهادي في طريقة حواره أسر، يلقي بين يديك كمّاً من المعرفة. يستشهد بالعديد من المفكرين والكتاب والمسرحيين. جمل بعد جمل تترى من لسانه ليوثق شيئاً أو يؤكده. وإذا ما تطلب الأمر يقرأ قصيدة كاملة بين يديك لهذا الشاعر أو ذاك. كان يحفظ مقاطع كاملة من هاملت أو ماكبث. لا يمكن أن يخطئ إلا في نطق حرف هنا أو حركة هناك. وهذه ميزة قد تبدو ليست مهمة، ولكنها، عندي، تحيل إلى مسألة غاية في الأهمية، مفادها قدرته على انتقاء ما يريد حفظه، وعادة ما يكون ذلك من عيون الأدب المسرحي أو الشعر العالمي، ومن ثم في قدرته على تمثله وإعادة انتاجه سواء باللفظ أو بالاستثمار المسرحي والدرامي وحتى على طريق الكتابة النقدية للصحافة.

كان هادي المهدي يلتهم الكتب التهاماً في ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي وصولاً إلى العقد الماضي. كان يتألم من المستوى الذي يلمسه لدى طلاب الدراسات الأولية في قسم المسرح. لم يكن بينهم إلا ندرة تعرف من هو اسخيلوس أو كريستوفر مارلو أو يوجين أونيل... فكيف، على سبيل المثال، يعرفون ميلان كونديرا؟ كونديرا يمثل للمهدي الكاتب الأمهر. وهو يستطيع أن يتحدث عن كونديرا كما يتحدث ناقد متخصص في الرواية. والمهدي واحد من قلة من أهل المسرح لمست القدرة عنده لكي يتحاور في مختلف الجوانب الثقافية: شعر ومسرح ورواية بشكل خاص.

كتب المهدي للمسرح عدداً من النصوص، وجدير بالذكر أنه كان من المخرجين الذي بعد الطوفان... قبل الموت بيوم واحد يمكن للإنسان أن يبدأ الحياة من جديد..».

مسرحية: دائماً وأبداً. دمشق. "إلى سعد الله ونوس... "نعم"... إننا محكومون بالأمل، وما يحدث لن يكون نهاية التاريخ... حتماً"...

مسرحية: موجز حرب. دمشق ١٩٩٦ "أمام أنظار العالم... كل العالم... كنت تحتضر دون أن يتقدم أحد لنجدتك! فإليك وحدك وأنت تطفو الآن جثة هامدة على سطح الكوكب".

مسرحية: رثاء الظل. بغداد – السليمانية ١٩٨٦-١٩٨٨ "إنكساراته حين هوى نجمه... يتبعه صعوده إلى أفق محال. الاهداء: إلى ميديا... جنتي وقنديلي".

وفي صفحة الفرقة التي أسسها للمسرح في الدنمارك، وحملت عنوان: فرقة مسرح الآن، كتب يقول: "دائما كنت امضي الى هناك واشعر اني هنا ربما حين ابقى هنا سأشعر اني هناك مفزع او مفزوع. ولاننا في وطن النهب واستغلال السلطة واحتكار الكراسي فان هذا العرض هو من انتاجي الخاص... هادي المهدي".

أخيراً

يمثل مشروع هادي المهدي المسرحي واحداً من روافد نهر التجريب التي انبثقت في ثمانينيات القرن الماضي في العراق. وهو إذ قدم ضمن هذا المشروع رؤية نظّر لها وأطلق عليها عدداً من التسميات والاصطلاحات، مثل: الطريق الثالث، فهو في النتيجة حثّ الخطى مسرعاً نحو غلق دائرة حلمه، وربما في قراءة ثانية فتح الدائرة على اتساعها!.

لقد أنتج المهدي بين بغداد وكردستان ودمشق وكوبنهاغن عدداً من النصوص والمقالات والدراسات والعروض التي تؤكد وتكشف رؤيته للفن الدرامي الذي كان يعدّه كل حياته، ومن المؤكد أن هذا الإرث سيظل متاحاً لمن يأتي بعده، ففي النتيجة ما يبقى هو الكلمات.

لقد كان المهدي بارعاً في صياغة كلماته، وإن أخذه الأصدقاء على حدة هنا وغموض هناك. كلماته في المسرح كانت صافية وواضحة، وتنم عن جهد معرفي وذكاء في التبصّر والتفكّر. المسرح بالنتيجة هو جحيمه وجنته. وفي الأخير، وسّع المهدي من مسرحه فتلقفته الهوّة.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2248)
السنة الثامنة
الخميس (15)
ايلول 2011

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2248)
السنة الثامنة
الخميس (15)
ايلول 2011

نحن نتهم

اغتيال الكاتب المسرحي والصحفي هادي المهدي منعطف في مسيرة العراق.

كل الاغتيالات والقتول التي ارتكبت بعد التغيير الكبير الذي حدث عام ٢٠٠٣ في كفة وحادث هادي المهدي في كفة.

ان حياة الفرد مقدسة. ان ضحايا الارهاب والعنف كلهم محترمون، كلهم مغدورون، كلهم مظلومون، وجميعهم يحتاجون منا، ويتوقعون منا، استذكارهم، ويأملون منا، من التاريخ، من عدالة الأرض، ومن عدالة السماء، انصافهم.

ولكن يجب التفريق بين عراق الفوضى، وبين عراق الاستقرار النسبي، بين البلد في ظل الحرب الأهلية، وبينه في ظل عملية سياسية جنحت الى السلم، وسلطة نامية أصبحت قواتها الأمنية من جيش وشرطة واستخبارات تعد اليوم بالملايين نفر.

في ظل انهيار الدولة، والفوضى التامة، كان كل شيء يقع تحت دائرة الاستهداف، الحجر والبشر. كان البلد كله قد تحول الى قصة موت معلن. تلك كانت، الى حد كبير، حرب الجميع ضد الجميع. كان الارهاب وكان العنف عادلا في توزيع الموت على الجميع، الأكاديمي والزبال والبقال والحمال والطفل والعجوز والصحفي والمرأة والحلاق والموظف.

كان العراق قصة موت معلن. وكانت الميليشيات، سنية وشيعية، هي بطلة القصة، وهي المتهمة.

ولكن مع توجه الجميع تقريبا الى الخيار السلمي، ومشاركتهم في انتخابات ٢٠١٠ ، وتنامي قوة الدولة، دخلت البلاد في طور جديد، انتهت معه الحرب الطائفية، وبدأ الأمن النسبي يتحقق ويسود.

وكانت تظاهرات الاحتجاج بدءا من ٢٥ شباط ٢٠١١ من أبرز العلامات الفارقة للطور السلمي الذي دخله العراق. كانت تمثيلا لولادة حرية التعبير، وللرقابة الشعبية في البلد. وكانت دليلا على ان البلد، او بعض فئاته المتنورة، شرع يفكر في الحياة، وينفتح على جواره الاقليمي، ويتأثر به، ويتلمس في ظروفه أشياء وأسبابا مما في ظروف محيطه التي فجرت " الربيع العربي"، ومن هذه الأسباب الفساد، انغلاق الطبقة السياسية، وتمحور اهتماماتها في بؤرة الصراع على السلطة والثروة. يضاف الى ذلك في حالنا تدهور الخدمات والاضطراب الأمني والمصير المجهول لمستقبل البلاد.

وكما كان متوقعا فان الحكومة العراقية خصوصا، وأطراف العملية السياسية عموما، نظرت بعين الشك، والإدانة والعداوة، الى تظاهرات ساحة التحرير في بغداد، والى شقيقاتها في بقية المحافظات.

وكان شخص المغدور هادي المهدي نموذجا طبقت عليه هذه النظرة. كان من اوائل ضحاياها. وكان من ابرز منشطي الاحتجاج العراقي. ففي اليوم نفسه الذي انطلق فيه الاحتجاج العراقي(٢٥ شباط)، وبسببه، تولت قوة من الجيش إهانة وضرب هادي مع ثلاثة من رفاقه في حادثة تنكيل علني مشهورة، ثم اقتادتهم بمركبات عسكرية الى أقبية سرية تعرضوا فيها الى انواع من التعذيب تحدثوا عنها بتفصيل الى الإعلام بعد اطلاق سراحهم.

وعلى الرغم من الضجة التي اثارتها تلك الحادثة الشنيعة، محليا ودوليا، فان الحكومة سكتت عنها، وكأنها لم تكن. في مرة ثانية تكررت الحادثة مع شبان متظاهرين آخرين، اضافت فيها القوات الأمنية، الى الإعتقال التعسفي والتعذيب، تهمة التزوير في وثائق رسمية. ثم قدمت الحكومة اخيرا نسختها العراقية من " موقعة الجمل"، يوم انزلت المسلحين بالعصي والسكاكين الى المتظاهرين في ساحة التحرير.

وفي كل هذه الحوادث أظهرت الحكومة انخفاض منسوب احترامها لحرية التعبير الى درجة الصفر، وكشفت عن غياب حساسيتها تجاه كرامة الأفراد، كما عبرت بمثل هذه الأفعال الشنيعة عن اعتمادها نهجا منظما لإشاعة الخوف، وهو النهج الذي يعبد الطريق لقيامة الإستبداد.

وجميعنا يتذكر ان المغدور هادي المهدي عندما تعرض الى الإهانة والضرب، والإعتقال من دون مذكرة قضائية، والتعذيب، تقدم بشكوى الى القضاء على رئيس الوزراء السيد نوري المالكي بوصفه "القائد العام للقوات المسلحة"، ثم أعلن في بيان الى الرأي العام العراقي بأنه بعد نشره لتلك الدعوى، يحمل الجهة التي شكاها مسؤولية تعرضه الى أي خطر.

أما وقد وقع الخطر الذي ما بعده خطر، واغتيل هادي المهدي، فاننا نشاركه أوهام في امكانية تحقيقات قضائية تكشف عن الجناة. ولكننا رغم ذلك نبقي التساؤل:هل ستتمكن السلطة بأجهزتها الضخمة ان تكشف للشعب الذي انتخبها خيوط الجريمة وتقتص من جناتها؟ أن تثبت أنها مختلفة قليلا عن النظام السابق؟

ومهما كان فاننا لن نتوقف عن المطالبة بكشف الجناة بكل طريقة ممكنة بما في ذلك السعي لإجراء تحقيقات على مستوى دولي مستقل.

نحن نتهم! ونحن للأسف نتوقع الأسوأ!

انهم يلاحقون بذور "الربيع العربي" في ربوعنا ويحاولون اجتثاثها!

المجد لهادي المهدي شهيد الحرية والعار للجناة!

الموقعون

خالد القشطيني
صلاح نيازي
فوزي كريم
غانم حمدون
فيصل لعيبي
عبد المنعم الأعسم
هاشم العقابي
رضا الظاهر
فاضل السلطاني
لؤي عبد الاله
د.علاء بشير
يوسف الناصر
صفاء صنكور
احسان الامام
احمد المهنا

اليونسكو تندد باغتيال هادي المهدي

استنكرت ايرينا بوكوفا المدير العام لليونسكو اغتيال الاعلامي والفنان هادي المهدي، ودعت الى التحقيق في هذا الحادث وتقديم القتلة الى العدالة.

وقالت بوكوفا في بيان :

" استنكر جريمة قتل هادي المهدي . ان هادي وغيره من الصحفيين والمعلقين الذين لا يهابون شيئا يعبرون عن روح الجدل الديمقراطي . انهم يمارسون الحق الاساسي لحرية التعبير لمصلحتنا جميعا . الذين يستهدفون قتل الصحفيين يجب تقديمهم للعدالة والا فان الخوف سيعيق وسائل الاعلام و يصيبها بالشلل ويعيق الاشخاص الذين يعتمدون على الصحفيين المحترفين في الحصول على الاخبار والتحليلات التي تسند خياراتهم السياسية .

"كان هادي المهدي ، ٤٤ سنة، يقدم برنامجا اذاعيا شهيرا في بغداد ، من اذاعة ديموزي يبث ثلاث مرات في الاسبوع . هذا البرنامج كان رائعا في انتقاده للعديد من الموضوعات من بينها الفساد .

"لقد توفي الصحفي هادي نتيجة اطلاق النار على رأسه ، حيث وجد ميتا في منزله وسط بغداد يوم الثامن من ايلول . و استنادا الى تقارير منظمة صحفيين بلا حدود ، فان المهدي كان يتلقى تهديدات عديدة الا انه رفض الانصياع لها" .

هادى المهدي .. حي ولا يموت

عماد الاخرس

يتفق الشرفاء من البشر في كل الكون على أن من يُضحي ويُنذر روحه لوطنه يبقى حيا ولا يموت.. و بما إن الإعلامي والصحفي والمخرج (هادى المهدي) ضحى بأعز ما يملك من اجل وطنه العراق لذا سيبقى حيا في ذاكرة العراقيين ابد الدهر ولا يموت.

لقد كان الشهيد (هادي) بطلاً فضح الفساد بكل أشكاله (السياسي والإداري والمالي) وتحدى أزلامه الفاسدين علناً وبدون تمييز .. وكان صوته الاحتجاجي في ساحة التحرير والإعلامي في وسائل الإعلام يثير الرعب والخوف فيهم .

رَفَضَ الظلم والعبودية والاستغلال واصطف بجانب الفقراء والكادحين والمظلومين.

شَنَ حربا شعواء ضد المتسلطين والبيروقراطيين ونطق بالحق وصرخ بأعلى صوته ضد الباطل مع الناشطين والشرفاء والطيبين .

كَرِهَ الخوف وعَلَمَ الجماهير كيفية التحرر من هاجسه الذي تراكم على صدورهم لعقود.

احترم الموت واعتبره قدراً محتوماً لا مفر منه.. لذا لم يصمت رغم انه يتابع تحميل الحكومة المسؤولية، ان لم يكن لشيء، فلأنها أولا وضعت ظاهرة الاحتجاج في دائرة استهدافها، وثانيا لأن أمن الأرواح والممتلكات هو أصلا أمانة في يد الحكومة، أي حكومة، ومسؤولية لا تعلو عليها اي مسؤولية لدى اي سلطة.

ان مأساة هادي وطنية بقدر ما هي فردية. فالراحل، ومن خلال نشاطه العام في تظاهرات ساحة التحرير، لم يعد يمثل شخصه فحسب، وانما اصبح يمثل واقع حرية التعبير في العراق.

ان حرية التعبير، التي ظلت تعبر عن نفسها منذ ٢٥ شباط اسبوعيا كل جمعة في التظاهرات، باتت وسيلة وحيدة لدى قطاعات متنورة من الشعب، في الاحتجاج على عملية سياسية مسدودة الأفق، معزولة عن هموم الناس، وذات بنية مغلقة لا تنتج سوى المزيد من الفساد وتدهور الخدمات والأمن.

ان ما يراد لقصة هادي المهدي احد ابطال هذا الاحتجاج هو ان تكون هي ذاتها قصة حرية التعبير في العراق: الرجل أهين، ضرب، اعتقل، وعذب في مرحلة. لوحق بعد ذلك في عمله ورزقه حتى اوقف برنامجه في احدى الاذاعات المحلية. ثم جاء اغتياله في اطار تطور دراماتيكي هدفه ان يكون كاتما لأصوات الاحتجاج، لحرية التعبير، لوسيلة الشعب الوحيدة في الاعتراض، في الرقابة، وفي الإعلان عن الألم!

لا الحكومة، ولا أطراف العملية السياسية، مبرأة من هذه الجريمة البشعة.

نحن نتهم! وليست لدينا اي آمال أو أخبار كاتم الصوت وهو يصطاد ضحاياه بلا رحمه. وجاء القدر يوم الغدر ٩\٨ ليطلق الجبناء الرصاص على رأسه وينضم إلى قافلة الشهداء.

وبما إن الشهيد حي ولا يموت فمن المؤكد بان المتظاهر الشجاع (هادي) مشتاق لسماع أخبار ساحة التحرير ليوم الجمعة المصادف ٩\٩ وهي الوحيدة التي منعه القدر المشؤوم من المشاركة فيها منذ شباط ٢٠١١ .

سأروي له وباختصار ما جرى في هذا اليوم ..

ابدأها من مراسيم التشييع الرمزي التي انطلقت من باب دارك في الكراده لتمر في شوارع بغداد وصولا لساحة التحرير.

لقد قرر أصدقاؤك ورفاق دربك في التظاهر السلمي أن يقيموا هذه المراسيم رغم علمهم بالنتائج الوخيمة التي قد تترتب على ذلك.. حيث وصلت رسائلهم عبر المواقع الالكترونية والفيسبوك والهاتف النقال تطلب من كل عراقي يعشق الديمقراطية ويحس بمرارة فقدانها لك الحضور أمام دارك في الساعة التاسعة صباحاً من يوم ٩\٩ لتحقيق أمالك الجريحة في الحضور إلى التظاهرة والمشاركة فيها رغم انف الفاسدين .

وعليك أن تفرح سيدي لأن النعش الرمزي الذي لا حول ولا قوة له قد ثار الخوف والرعب فيهم رغم الملايين من القوات الأمنية التي تعمل بأمرهم وتم تفريق المشيع والاستيلاء عليه والسيطرة على القنبلة النووية فيه !

أما المندسون وأعدادهم في ساحة التحرير فأمر يثير الدهشة.. لقد عكست تصرفاتهم الهستيرية مدى الخوف الذي يعيشه الفاسدون من متظاهرين لا يحملون حتى الحجارة !

لقد مارسوا أفعالاً مُخزيه سأشرح لك البعض منها.. أولا.. الاعتداء على الصحفيين حيث تم ضرب مصوري احد القنوات الفضائية بأسلوب وحشي لن نتمكن من إنقاذه منهم إلا بشق الأنفس.. ثانيا .. إثارة الفوضى في الساحة وافتعال حالات شجار فيما بينهم أو مع بقية المتظاهرين لفرض حالة الإرباك والقلق على الساحة.. ثالثا .. رفع فلكسات ولافتات لا تمت بصله لأهداف التظاهرة في محاولة لحرفها عن أهدافها وإيهام القنوات الفضائية.

صدقني يا (هادي) لقد افتقدك المتظاهرون في الساحة وهتفوا باسمك طيلة يوم التظاهر الذي أطلقوا عليه اسمك.

حتى نصب الحرية كان يبدو للناظر حزيناً وكأنه يسأل عن حر غائب كان يهتف تحته كل جمعه بصوت صادق يثير الرعب والخوف في الفاسدين.

ولا تحزن أيها البطل سنزودك بأخبار الساحة ونحجز لك فيها موقعاً مميزاً يبقى صوتك فيه حاضراً وحافزاً للجميع للمشاركة في الجمع القادمة.

سوف لن نصمت ولا يهدأ لنا بال إلا إذا ركعت الحكومة لصوت الحق واستجابت للمطالب التي دفعت روحك ثمناً لها .

سنطالبها بان تبني لك تمثالاً تذكارياً في ساحة التحرير بجوار نصب الحرية.

ونم قرير العين فكاتم الصوت الذي استطاع أن ينال منك لن يُرعب الشرفاء وهم سائرون على دربك.

أما القتلة المجرمون فكن مطمئنا لأنهم عاجلاً أم آجلاً سينالون نفس المصير المعروف للطغاة والى مزبلة التاريخ.

أخيراً أقولها لك وأنت سيد العارفين إن تصويب وتقويم مسيرة العراق الجديد بحاجه إلى المزيد من الشهداء

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
مدير التحرير : علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

يتألقون في كل ركن، يحملون الوعد ويشيعون الأمل:

عراقيون من زمن التغيير.. !

فخري كريم

كانت نهاية الدكتاتورية في ٩نسيان ٢٠٠٣ ، لحظة أمل تاريخية فريدة ، فهي لم تنه محنة العراقيين وتفتح باب الأمل أمام تطلعاتهم المكتوبة لعقود تكاد أن تكون دهراً ، بل حولت الدولة الاستبدادية بكل مكوناتها ، إلى خردة وخرائب يلتقطها المارة ويتندرون بتهافتها.

لكن اللحظة التاريخية النادرة ، ضاعت في مهب صراعات أمراء الطوائف وأشباه الرجال ممن غيروا المشهد الجديد ، وانتزعوا روح الأمل منهم ،إذ انفردوا بالبلاد واستباحوا العراق المنطوي على ذاته المكبوتة ، وأعادوا بفعلهم هذا الحسرة إلى نفوس العراقيين الذين باتوا يحلمون باسترجاع تاريخ الأيام الخوالي التي باتت تثير الحسرة في نفوسهم والألم لما حل بوطنهم .

يومها ، لم أجد غير مشاركة الناس حنينهم إلى الماضي ، واسترجاع روح ذلك العصر المنتشي بتألقه وتفرده وقامات خلاقي نهضته في كل ميادين الإبداع والاستنهاض والتحدي المشوب بالتفاؤل والأمل المفتوح على الحياة والمستقبل، ويوم صدر العدد الأول من "عراقيون من زمن التوهج" ، خطر كما لو أن العراق عاد إلى كبوة لا قيامة منها ، وإلا لم العودة إلى الماضي لاستنهاض قوى المستقبل ؟

لحظة استشهاد هادي المهدي ، بأن الخيط الرفيع الذي غيبته مآسي الحاضر ، كما أوحت نزيهة الدليمي بفكرة " عراقيون من زمن التوهج " توقدت فكرة " عراقيون من زمن التغيير " بالغياب القسري الغادر لهادي المهدي .

إن الموت في حالة المبدع ، خلق جديد يعيد تكوين الحياة خارج رتابة التنافس اليومي على البقاء ، ويسدل الستار على شبح الخوف الجبان ، وينبلج معه فجرٌ آسرٌ يختال ويتداعى ، يَعدُ ويتوعَدُ وينبّئ بالمسرات وينفض غبار الكسل والتراخي والتأمل الرخو والانهزام .!

يصبح الموت عبئاً على القتلة ، ويعلن لحظة القيامة على الأرض ، حيث يحيا القتيل بخوف القاتل.

إذا لم يتوهج الماضي المضيء ، بعنفوان الحاضر المتألق ، فإلام يؤشر مشهد ساحة التحرير كل "جمعة حلمٌ يتسع " ؟ ومن هم جموع الشباب الذين يتألقون فيه ينهبهم الأمل في الوقت الذي يهز الخوف الأشباح الكسيرة وهم يتواجهون..؟

إليهم وفيهم ، أينما أشرقوا وتفتحوا .. سيصدر هذا الملحق ، يسرد حكايات أحلامهم، ويستنهض جيلاً يستحق حياة أفضل وأكرم وأنبل ، حياة حرةً سيدة.